
المخبول
محي اسماعيل

محيى اسماعيل

المخبـــول

رواية من الأدب الإنسانى

أول رواية أدبية يكتبها فنان عربى



مكتبة مدبولى

ي ا اعيل

الخبـــــــول

الفهرس

إهداء ٧
قوة الحب أقوى من حب القوة!! ٨
١ .... ٩
٢ .... ٢٤
٣ .... ٣٨
٤ .... ٤٧
٥ .... ٦٦
٦ .... ٧٨
٧ .... ٩٠
٨ .... ٩٩
٩ .... ١٢١
١٠ .... ١٣٣
١١ .... ١٤٤
١٢ .... ١٥٧
١٣ .... ١٦٨
١٤ .... ١٨١
١٥ .... ١٨٦
١٦ .... ١٩٤
١٧ .... ٢٠٠
١٨ .... ٢٠٢

١٩ .... ٢٠٧
٢٠ .... ٢١٤
٢١ .... ٢١٧
٢٢ .... ٢٢٨
٢٣ .... ٢٣٢
٢٤ .... ٢٥٢

شخصيات الرواية

عادل شديد	: المخبول – لقيط ابن سفاح – لا يعرف القـراءة أو الكتابة.
مسعد سعيد **فرحانـــة** **محـــروس** **دعـــــاء** **فيليبــــو** **حامــــد** **مهجــــص** **بنـــوره** **ســـفروت**	: إنسان مكافح متمرد على الظلم مثقف ينشـد العدالة. : امرأة معدمة تعيش مـع أولادهـا الـ ٨ الصغار لا تجد قوت يومها. : زوج فرحانة مبيض نحاس معدم... : زوجة مسعد سعيد مكافحة تعمل من أجـل بيت سعيد... : إرهابي يعمل لجهات سرية. : مدير أعمال عادل شديد – مقهور – ويبحث عن حريته وهويته : بودي جارد وحارس زنازين عادل شديد. : امرآة ثرية تقع في قصة حب غريبـة مـع عادل شديد. : طفل شديد الذكاء عاشق للكومبيـوتر يقـوم بمغامرة لها العجب.

	تدور أحداث الرواية في القاهرة عام ٢٠٠٠

إهداء

إلى روح والدي

إلى روح والدتي

وإلى البشرية جمعاء

محي إسماعيل

قوة ا ب أقوى من حب القوة 

محي إسماعيل

١

إن ا وضع للأنسان قوانين تحميه.. ولكن الإنسـان نفسه أوجد العبث. وكان لهذا الاستثناء العبثي. أن يدفع ثمنه. العالم كله.

على سبيل المثال:

خربوش. وبربوش.

وإليكم الأنباء بالتفصيل من خلال شريط فيديو ثـلاث ساعات. تم تسجيله في إحدى بلاد الشمال.

ويحكي الشريط. أن هناك صداقة. تمت بـين مسـيو فيليبو الأجنبي الجنسية الذي يقطن في الشمال. وبين عـادل شديد المصري الجنسية. الذي يقطن في بلاد الجنوب. ولكن كيف تم التعارف؟

كان فيليبو متجها لزيارة حي الحسين ضـمن إحـدى زياراته السياحية للقاهرة. وكان يقود عربته الجيروكي متجها لقهوة الفيشاوي.

وقد لفت نظره هذا المتسول.. عادل شديد.. الذي مـر من أمامه وهو يحمل قطة رومية جميلة اسمها (بربـوش)..

وما أن هبط فيليبو هذا الأجنبي.. وجلس طالبا شيشة. حتـى فوجئ بهذا العادل شديد.. يسحب أحد الجالسين على المقهى ويمطر ضربا.. فتصدر له أحد شنبات الحي.. وقام للـدفاع عن المضروب.. في الوقت الذي كان عادل أنهـى عليـه.. حتى سالت الدماء منه..

خرج صاحب المقهى ليبعد عادل عـن هـذا المكـان وليذهب بقطته لحال سبيله. ومشى عادل في لامبالاة.. حتى اقترب من فيليبو.. الذي كان يلاحظه.. ويراقبه.. فماذا لاحظ فيه؟..

قوة الجسد.. العينين النافذتين.. عدم الخوف.. وملابسه القذرة.. توقف عادل شديد بلكاعة أمام فيلبو.. هذا الوافد من الشمال.. على حي الحسين..

امتدت يد عادل لكوب الماء الذي أمام فيليبو.. وشرب الكوب على دفعة واحدة.. دون استئذان.

لم يرق هذا التصرف الهمجي لفيليبو فلسعه قلما علـى قفاه.. فما كان من عادل شديد إلا أن انحنى وقبـل حـذاءه قائلاً: معلهش يا خواجة كنت عطشان..

رفعه فيليبو قال له أنا خواجة آه يا روح أمك.. بس باعرف عربي.. ثم هاجمه قائلاً: أنت بتبوس جزمتي ليه؟؟..

- ببوسها...
- بتشتغل إيه؟...
- شحات.. وباعرف أسوق.. اشتغلت في جراش وأعرف أجرش العربية وأركنها وأسوقها بس صاحب الجراش ضربني فسبته..
- وليه ما بتشتغلشي؟..
- أصل أنا.. لا باعرف أقرأ ولا أكتب.. وكل ما روح شغلة يرشوني بالمية..
- وليه بيرشوك؟..
- بادافع عن نفسي.. واللي يضربني أضربه.. بس ولا مؤخذة لازم أأذيه.
- والقطة دي منين؟..
- سارقها..
- إنت حرامي..
- وليه ما بتخافش؟..
- وأخاف ليه.. ما أنا قلبي مات من يوم ما اتولدت..

- ساكن فين..؟
- في حي زينهم..
- أبوك بيشتغل إيه؟..
- ما عنديش لا أب ولا أم.. ولا أخ ولا أخت..
- معاك فلوس..؟
- يا ريت..
- شايف العربية اللـي واقفـة دي (وأشـار لعربتـه الجيروكي الأمريكية).. روح نضفها.. ومشي العيال اللي قاعدين عليها..
- تحت أمرك ومن غير فلوس كمان..
- جرى عادل شديد في قوة وطوق له العربـة وهـش الأولاد.. لكن فتوة تصدى لعادل.. فما كان منـه إلا أن ضربه.. وبصق عليه.. وكومـه فـي الأرض.. بينما حاول ثلاثة فتوات شداد.. تكتيف عادل.. دون جدوى.. وأطاح فيهم.. وانتهت المعركة.. بأن مسح عادل شديد بعضا من العرق.. الذي كان قد نشع في وجهه.. وتحت إبطيه.. وعلـى رجليـه.. المليئـة بالشعر البارز منهما..

- وعاد عادل شديد هذا الصايع.. لفليبو.. الذي راقه ما حدث.. وفاجأه بسؤال:
- تسافر برة..؟
- يا ريت.. دانا ماليش حد في الدنيا دي.. ما ستفرش ليه؟.. أصل أنا (لقيط).. بيقولي كده.. ابن سفاح يعني.. أصلهم لقوني في الشارع..
- طب روح أقعد في عربيتي.. أنت والقطة دي..
- حاضر.. وأمرك..

ودفع فيليبو الحساب وانطلق بعربته الجيروكي التي فيها هذا اللقيط وقطته الرومية المسروقة.

***

وفي إحدى السهرات الليلية التي حدثت على أرض مصر.. وفي قصر مسيو فيليبو.. الذي يمتلكه في مصر الجديدة.. بدأت أحداث هذه القصة..

- في العاشرة مساء اصطحب فيليبو في يده لهذه السهرة هذا العادل شديد.. المجهول الهوية والشخصية.. ومعه قطته الرومية.. التي لفتت أنظار الحاضرين بجمال شعرها.. وبعيونها الخضراء..

وذيلها النافش.. ولا أخفي عليكم أنوثتها الطاغيـة..
هكذا يؤكد جسدها المربرب.. أضف لذلك صـوتها
الموسيقي الذي ينادي..

وبينما فيليبو يرحب بالضيوف.. كانت يده اليسـرى..
تنتزع من يد عادل قطته الرومية.. بربوش..

داعبه فيليبو أمـام ضـيوفه.. قـائلاً فـي سـؤال..
عذراء؟؟..

- عذراء ولكن..؟
- ولكن ماذا..؟
- ضحك عادل شديد وسكت..
- ما رأيك لو زوجتها.. وعندي العريس.. لكنه لـيس مصريا..
- يطلع مين هو..؟
- خربوش..

***

وخربوش هذا قط رومي مثير.. أسباني المولـد.. ولا
أخفي عليكم أن فيليبو كم هو مبهور بجمال وأنوثة قطة عادل
شديد..

- قلت لي إن اسمها بربوش..؟
- نعم..
- خربوش.. وبربوش.. اسمان موسيقيان.. لو سمع عنهما بيتهوفن الموسيقار الألماني الشهير.. لألف السيمفونية العاشرة.. التي لم يؤلفها بعد.. ولسميت.. (زواج العصر).
- معقول اللي جنا بكم بتقوله ده.. ويطلع مين برهوفن ده...؟
- نظر له فيليبو ولم يرد عليه..

كان عادل شديد هو النغمة النشاز بين جميع الحاضرين من الطبقة الكلاس.. وهم علية القوم.. فجأة سحب فيليبو عادل من أذنه وقال له:

- أنت مدعو عندي في الخارج لمدة يومين؟ فقط جهز الباسبور.. وبعد يوم سيتم الاتصال بك.. هل عندك تليفون..؟
- لأمنين يا حسرة / هو أنا لاقي آكل..
- غدا تأتي هنا ومعك صورتين فقط.. ولا تشغل بالك بالباقي..

- بس أنا ما معييش ثمن تذكرة السفر..
- اطمئن.. النجف والعفش والشقة والفرح.. وبربوش.. وأنت مدعوون على حسابي فقط جهز صـورتين.. وبين ودانك في الصورة.

***

يحكي الشريط أنه في نهاية السهرة عاد عادل شـديد ومعه بربوش في الساعة ٢ بعد منتصف الليل.. والذي أخره حتى هذه الساعة.. أنهم أخروا العشاء للساعة الواحدة مساء..

فقال بينه وبين نفسه أتعشى وأسلم وأمشي.. وكدا عال العال وبوس إيدك وش وظهر.. وأحمد ربنا أنك قابلت هـذا الخواجة الأبلة العبيط فيليبو..

**

في حي زينهم العشوائي واللا آدمي حي المسـاكين.. والذي يبلغ عمره ثلاثون عاما.. ويغطيه العفن.. يعيش عادل شديد.. في وكر من أوكار هذا الحي.. وهذا الـوكر عبـارة عن فجوة محفورة في مكان طيني.. به قطعة خشبية مسطحة ملقاة على الأرض في داخله.. طولها متر وعرضها نصـف متر.. قديمة ومعطنة والبق يعيش في فراغاتها..

الشمس في خصام وغياب دائم طوال العام عـن هـذا الوكر.. ومساحة هذا الوكر طولاً وعرضا خمسة وعشرون مترا.. ومدخل بابه حيث لا باب قطعة قمـاش.. متهدلـة.. كالحلة.. يعني (هربودة) تعشش فيها العناكب والحشرات.

وها قد وصل.. قرب الثانية والنصف مساء لـوكره.. كي ينام ومعه بربوشته.. وعينيه كلوب مطفأة.. من التـوتر والقلق والسهر وعدم النور..

وكيف يأتيه النوم ليلاً.. وليله في النوم هـو معركـة حرب.. وهرش بينه وبين البق..

ما أن دخل الوكر.. وحاول تمديد جسده.. حتى بـدأت المعركة.. فهب واقفًا خارجا وهو يهرش محتضنًا بربوشته.

خرج وهو يجري أكثر وأكثر.. حتى صادف تاكسـيا متلكعا على وشك أن يجرش أوقفه.. وأيقظ سائق التاكسي.. حتى يتنبه له.. ثم قال له:

- الحسين لو سمحت..
- كسر سائق التاكسي البنديرة.. وهرش في شـعره.. وانطلق به للحسين..

وما أن وصل الحسين.. حتى دخـل محـل فطـايري وطلب فطيرتين.. واحدة بالمكسـرات والثانيـة بالمهلبيـة.. وشيشة.. وكوب شاي.

- واسترخى عادل على الكرسي.. أخذ يبـدل رجليـه يضع رجلاً فوق رجل.. دون وعي.. وهو يحـاور نفسه ويتلفت يمنه ويسره..

معقولة حظي حيضرب.. معقول؟؟

يكونش الراجل الخواجة دا مجنون.. يكونشي..

يكونشي سكران.. يكونشي؟؟

ومعقولة حد يجوز قط لقطة.. دا إذا كانوا البنى آدمين مش عارفين يتجوزوا.. هو بقى بسلامته عاوز يجـوز قـط لقطة؟؟

وسفر ودعوة.. ومصاريف.. طب ليه؟

وأنا مين يعني.. واشمعنى أنا يعني؟

ثم طمأن نفسه.. محدثًا نفسه في همس..

أحمد ربنا وسكت.. أنت محظوظ.. واسكت..

يمكن الراجل لف الدنيا على القطة دي مالقهاش..

إلا معاك..

مش يمكن..... يمكن......؟

وجايز خربوش دا مش قط.. يمكن واحد ومسمي نفسه كدا..

الصبر جميل.. كل حاجة حتبان في وقتها..

مش يمكن الراجل دا أهبل.. وقرفـان مـن فلوسـه.. وعايزك تشيل عنه الهم دا.. كله ممكن.. والصباح رباح..

وبينما حاول كتم مخه الملتهب بالأسئلة.. فـي مبسـم الشيشة..

سحب نفسا طويلاً.. ثم تنهد وأخرجه حتى يستريح..

فجأة قفزت بربروش من أحضانه مهرولة في ذعر إلى الشارع.. وعادل وراءها في هـوس.. يجـري ليلحقهـا.. واشتدت مطاردة الجري والبحث عنه.. ويشهد الصاحبين من حي الحسين أنهم رأوا مجذوبا من مجاذيب الدنيا يجري وهو يصرخ.. بربوش.. بربوش.. يا خرابي.. حرام عليكي.. ما تسيبينيش.. بربوش... بربوش دانـا مصـدقت أن حظـي حيضرب.. ماتسيبينيش..

وفجأة انقض عليها عادل فوق إحدى المواسير رمـى كل جسمه عليها.. ولأول مرة تفـزغ بربـوش صـارخة..

وكأنها لا تعرف صاحبها.. عادل شديد ابن حـي زيـنهم.. العازب المعدم.. الذي لم يتلق من التعليم شـيئًا.. حـاول أن يضربها.. ولكنه خاف.. ولم نفسه وأنبها..

احتضنها مسرعا مهرولاً.. عائدا للفطـايري.. وهـو متهدج الأنفاس دفع له حسابه.. وأخـذ الفطيـرتين.. وعـاد لمنزله ونام.. واحتضنها بشدة وشد الغطاء.. وأحكم اللحـاف عليها وعليه من كل جانب.

***

وفي الغد في الساعة الثانيـة ظهـرا اسـتقل عـادل وبربوشة تاكسيا لمصر الجديدة.. حيث قصر مسيو فيليبو..

وما أن دق جرس القصر حتى استقبلته إحدى شغالات القصر.. وأخذت منه الصورتين وبربوش..

وعندما حاول أخذ بربوش منها.. قالت له دي تعليمات مسيو فيليبو عشان إجراءات سفرها..

استسلم عادل دون تفكير.. وترك بربوشة.. وأغلقـت الباب.. ثم من شباك الباب قالت له والباب مغلق:

- تكون في المطار بعد بكرة.. طيارة الساعة ٣ ظهرا في مطار القاهرة الدولي المطار الكبيـر.. وبـاقي

التعليمات حتعرفها في المطار.. وآدي ١٠٠ جنيـه مصاريف مؤقتة من مسيو فيليبو..

- أخذهم سعيدا.. وانصرف.

***

منذ الثانية ظهرا في هذا اليوم المشئوم حتى الثانية ظهرا قرب موعد السفر المشكوك فيه بساعة.. لم تـر عينـي عادل النوم..

وبدأ عادل في رسم خطته.. لكي يلعب بهذا الأبلـه.. اشترى عادل خنجرا ووضعه في شرابه.. وهو الآن يسـير على وشك الوقوع في إحدى الشوارع من شدة الإجهاد وعدم النوم..

والشوارع التي ورمت رجليـه.. مـن كثـرة اللـف والدوران في الميادين.. بل وخاف أن يحكـي لأحـد مـن أصدقائه شيئًا عن هذا الحلم حتى لا يتهموه بالخبل..

دفن حلمه في نفسه.. وأخذ شنطته الكبيـرة المقيحـة البلاستيك.. وتوجه للمطار..

فوجد كل شيء على ما يرام.. وأعطـاه رجـلاً مـن رجال فيليبو الذي كان في انتظـاره ٢ باسـبور.. وحافظـة جلدية سوداء صغيرة.. وسلمه بربوش وانصرف..

فتح عادل الحافظة فوجد فيها دولارات.. فتح باسـبور بربوشة.. فوجد باسبورا باسـمها.. ووجـد باسـبوره فيـه صورته.. وكاد يطير من الفرح.. وتأشيرة الدخول لمطـار أورلي في باريس التي قرأها له أحد المسافرين معـه علـى متن الطائرة وتقدم المسافرون يصعدون سلم الطائرة..

وتقدم عادل وبربوشة وركبا الطـائرة مـع الـراكبين وانطلقت طائرة بهم متجهة لباريس..

وما أن جلس في كرسيه وما أن جلست بربوشة فـي كرسي بجانبه.. حتى وجد قلبه يدق عاليا.. عاويا..

الطائرة بالفعل تطير.. إلى أين؟.. باريس.. من زينهم لباريس تيجي ازاي؟؟... اسكت.. آهي جت وخلاص..

الذين يجلسون بجوار عـادل فـي الطـائرة.. بـدأوا يراقبون شفتيه المتوترتين اللتين تريدان أن تنطقـا بشـيء.. بدأوا يلاحظون أنه يحركها دون كلام.. بل دون إحـداث أي صوت.. بل فوجئوا بأنه يحدث نفسه ولا يتحدث مـع أحـد

فكان مثار دهشتهم.. وأصبح هو يراقبهم وشـفتيه تتلاعـب أمامهم.. وأصبحوا هم أكثر انجذابا لشفتيه.. هو يحرك شفتيه في كل الاتجاهات.. وهم يضحكون على شفتيه.. حـاول أن يخفي ذلك عنهم.. ويموه عليهم.. ويحول حركات شـفتيه.. لأغنية.. وكأنه سيغني لهـم.. فتطـورت الحركـات أكثـر هيستيرية.. وعندما حاول إسكات شتفيه.. أصبحوا هم يلعبون له حواجبهم.. وتحول الموقف لمشهد مسرحي مثير.. فصار هو يضحك أكثر عليهم..

***

هل الخبل هو فقدان القدرة على التمييـز – أم عـدم الإدراك – أو توقف العقل عن التفكير.. أو كسر القاعدة.. أم هو العبث بعينه.. أو تصديق ما لايمكـن تصـديقه.. أو أن يوحي الإنسان لنفسه أن يصدق كل ما لم يفعله من قبل.

استسلم عادل لإجهاده المضني بين العقـل الـواعي.. وعقله الغير واعي.. وفي النهاية سقط في كرسي الطـائرة.. وتصبب عرقًا ونام.. كانت تحرسه وترعاه بربوشـة.. ذات العينين الخضراوين الصابريتين...

٢

في مطار أورلي بباريس.. وصلت الطائرة.. وخـرج عادل وصاحبته وهدأت شفتاه في المطار.. فلقد أصبح أكثـر مراقبة لتصرفاته.. وكان في استقباله (مرعوب)..

ومرعوب هذا هو السكرتير الخاص القـائم بأعمـال مسيو فيليبو في الخارج.. رحب بهما.. ودسهما داخل عربة شبح.. وانطلق بهما حيث قصر فيليبو في باريس..

ودخل عادل وبربوشة في صالة كبيرة.. من صـالات الاستقبال.. داخل القصر في فرنسا..

ما أن جلس عادل في هذه الصالة السحرية المثيـرة.. المزدانة بكل التحف والزركشات.. حتـى تقـدم مرعـوب الأفريقي النحيل.. الذي يحمل الجنسية الفرنسية.. وأخذ منـه بربوشة.. وسلمها لإحدى الشغالات في القصر.. وسار به في صالة طويلة ورشيقة.. وقد حمل عنه حقيبته القرديحي.. ثـم فتح له إحدى الحجرات كي يستريح..

نظر له عادل في دهشة قائلاً:

- لو سمحت فين مسيو فيليبو..

قال له مرعوب:

- سيكون في استقبالك في العاشرة مساء.. والآن حاول أن تنام.

قفز سؤال آخر في بق عادل:

- بربوش وديتها فين؟..

- قال له مرعوب في ابتسامة مريحة:

- في العاشرة مساء سوف ترى كل شيء بنفسك.. الآن حاول أن تنام..

كانت الساعة الرابعة عصرا..

وأخذ عادل منه حقيبته ثم أغلق الباب..

***

استيقظ عادل شديد.. في التاسعة والنصـف مسـاء.. ليسير في نفس الصالة الطويلة الرشيقة.. التي سار فيها مـن قبل.. بخطوات سريعة لاهثة أوصلته لصالة أخرى.. ثم لباب كبير.. حيث دخل فيه وفتحه.. وفوجئ بقصر مهول.. فهاهي جوانب القصر مرسومة.. وها هي صورة الفارس المشهور التي صورها أو تشللوبولو المصور الإيطالي.. وهـا هـي لوحة الصيد على الجليد للمصور الهولندي بروجـل بيتـر..

وها هو تمثال من الرخام لكوزيمو الأول على صهوة جواده لجيوفاني الهولندي الإيطالي.. وهذا تمثال من العاج لتولـوز لوتريك..

تساءل؟ ما كل هذا؟!! ولماذا.. إنه أمي جاهل.. وهـو الذي تربي في طين البرك.. والنقر.. كيف يدرك هذا الجنون الذي يلفه..

الصور والتماثيل من الرخام والعاج والبرونـز علـى الجانبين..

والملفت للنظر في هذا القصر وجود لوحـة بروجـل بيتر مذبحة الأطفال في بيت لحم.. لوحة تثير الدهشة.. هـل هذا مكانها؟..

حتى الآن لا نعرف من هو صاحب القصر وقد تكون له اهتمامات إنسانية..

وها هي لوحة الأمومة لجوجان..

ولوحة بيكاسو.. فتاة أمام المرآة..

وفي آخر الصالة كانت لوحة ديـلا كـروا الحصـان الجامع..

أما السقف فقد كان له العجب.. هنا رافاييل ورمبرانت ورينوار..

- صاحب القصر فنان أكيد.. بل هذا البهـو مخـزن للصور الشهيرة لكبار رسامي العالم..

كمان سيزان وشاجان وليوناردو دافنشي.. في لوحتـه الشهيرة (البشارة) ومايكل أنجلو في لوحته (الرأفة...).

- خير اللهم اجعله خير عليك.. يا أخ عـادل.. فـنحن نبشرك بأنهم سيرأفون بك..

أستطيع الآن أن نؤكد لك.. أن صاحب القصر فنان.. فالمكان يؤكد ذلك..

- وفي العاشرة مساء من نفس اليوم.. فـوجئ عـادل ببهو فخم.. لا يوصف.. يدخل فيه من إحدى جنبات القصر.. وعلى مسرح يرتفع ٥ أمتار وعـرض ١٥ مترا.. وصالة على شكل قطار.. كانت القاعـة قـد اكتملت بكل الأشكال والألوان من البشـر.. وبكـل العطور تستطيع أن تشمها.. إذا كنت غير مزكـوم.. لن تنسى هذه الروائح إلا عندما تموت..

كل موديلات الملابس على الرجال والنساء.. ها هـي أمامك الآن..

والمسرح الآن مغلق عليـه سـتارة قطيفـة حمـراء مزركشة.. تراقص أطرافها في نعومـة.. تـزدان بتطريـز ذهبي براق.. عيار كام.. أعتقد أن كل العبارات فيها وعليها طُبعت فتيات يرتدين أشكال وألوان مثيرة من المايوهات زات القطعتين..

***

وصل فيليبو داخلاً القاعة.. وقد سلطوا عليه دائـرة ضوئية.. وهو يسير فيها والدائرة الضوئية تسير معه.. جلس في الصف الأول وبجانبه مقعد خال ينتظر الجالس فيه..

وها هو مرعوب يقود عادل شديد وسط الظلام حيـث المقعد الخالي.. وأشار له بالجلوس وجلـس عـادل شـديد المقعد.. بجانب فيليبو.. أطفئت الأنـوار وارتفعـت سـتارة المسرح.. وعزفت الموسيقى..

ومن الكالوس الجانبي اليمين للمسرح يـدخل كرسـي مذهب على عجل.. كرسي آخر روشنة.. يجلس عليه القـط

الإسباني خربوش.. وهو يرتدي بدلة العرس والبيبيون يحلي عنقه ويديه مثبتتان ملصوقتان في الكرسي لا تتحركان..

ودوت الصالة بالتصفيق غير مصدقة ما يحدث أمامها..

وما أن هدأت الصالة حتى دخل من الكالوس الشمال للمسرح كرسي آخر مذهب.. يشبه نفس الكرسي الروش الخاص بخربوش.. جلست عليه بربوشة العروسة وقد زين رأسها تاج مرصع بالألماظ.. ويديها مثبتتان أيضا وملزوقتان في الكرسي..

دوت الصالة بالضحك والتصفيق والدهشة..

ومن كثرة الضحك تحولت الصالة لمكححة.. فالضحك الكثير المبهج المستمر يجعلك تكح كثيرا وتدمع..

كان عادل مذهولاً من شدة المفاجأة وغرابة كل ما يحدث أمامه.. وهو الوحيد الذي يرتدي قميصا وبنطلونًا وحذاء جربان.. جعل كل الحاضرين ينفرون من منظره المزري..

وفجأة.. انقض على المسرح أربعة وعشرون راقصا وراقصة.. على الفرازة. وكأنهم قد استحموا بالسحاب..

فكلهم يبرقون.. والبشرة ناصعة مضـوية.. وعلـى أغنيـة ماكارينا الأسبانية.. بدأوا يرقصون.. حتى امتـدت العـدوى للصالة فوقف الكل يرقص ماكرينا..

اشتد الرقص في القاعة ومن شدة الرقص والتهـريج أصيب العريس والعروسة بشبه دوخة.. فتقدم خادمان تجـاه العريس.. وخادمتان تجاه العروسة.. وفتحـا لهمـا بقهمـا وأعطاهما حبايتين فرفشة..

دقائق.. والضحك على أشده والرقص مدوي.. وعـاد خربوش وبربروش لوعيهما.. بل زادت منطقـة السـخونة عندهما.. حتى ساك خربوش يديـه الملتصـقتين.. وكـذلك بربوشة هي أيضا.. وقفزا على بعضهما في مشـهد مثيـر للغاية.. وأصبحت كل العيون مسلطة عليهما.. وهدأ الرقص وتركزت الأضواء على العريس والعروسة.. لمشاهدة هـذا المشـهد التـاريخي.. وسـجلت عدسـات الفوتوغرافيـا.. وكاميرات الفيديو.. والسينما أروع رقصة نستطيع أن نسجلها في هذا القرن.. هي (رقصة العصر).

عاد عادل بسرعة لأُذُن فيليبو.. الذي يرقص منتشيا.. بعد أن شاهد خربوش يحتضن بربوشة.. دون حياء.. وعلى مسمع ومرأى من الجميع..

قال عادل:

- خربوش لا زم يعرف حدوده..

رد عليه فيليبو:

- سيبهم يتعرفوا على بعض أحسن ما يعملـوا حاجـة غلط من ورانا.. قدامنا يبقى أحسن..

وأشار عليه فيليبو بأن يتبعه..

- أمسك أعصابك شوية..

بل ومسكه من يده وصعد به على المسرح.. والكل فـي حالة ترقب..

أخذ فيليبو خربوش من يده.. وسار به هابطًا من على خشبة المسرح..

وفعل عادل مع بربوش مثلما فعل فيليبو..

هبط الاثنان.. عادل من شمال المسرح.. وفيليبو مـن يمين المسرح..

وعزفت الموسيقى فور نزولهـا إحـدى الفالسـات لشتراوس..

وتقدم فيليبو بخربـوش الـذي يسـير علـى قدميـه الخلفيتين..

وتقدم عادل ببربوشـة التـي تسـير علـى قـدميها الخلفيتين..

- وبدأت مراسم الزواج.. والكل يترنح على موسـيقى شتراوس..

ومن البهو الفخم خرج فيليبـو.. ومعـه خربـوش.. وخرج عادل ومعه بربوشة..

والكل وراءهم في فرح لا يوصـف.. وأمـام عـش الزوجية..

كان هناك باب مزركش يزدان بالفل والرياحين.. انفتح في نعومة ورقة..

ودوت الآلات النحاسية التـي عزفـت مـارش زواج العصر..

ودخل خربوش سعيدا من هذا الباب..

ووراءه بربوشة سعيدة تتبعه.

تم إغلاق الباب عليهما.. وتوقفت الموسـيقى حرصـا على تلك اللحظة وراحة الزوجين..

- أخذ فيليبو عادل من يـده وقـد اصـطحبه ومعـه المدعوون إلى صالة جديدة عريضة مريحة سار فيها الجميع، وفجأة فتح باب كبير بهدوء.. وكانت وليمـة عليها ما لذ وطاب.. حيث التفـتّ عليهـا الجميـع وتحول الكل إلى أياد تأخذ وأفـواه تفـتح.. وأكـل يدخل.. وأسنان تطحن.. ولم يسمع أحد لأحد صوتًا.. اللهم إلا صوت المضـغ المـدوي.. غطـى عليـه أصوات الشوك والسكاكين والمعالق.. حيـث غـاب الوعي.. وكان الظلط والطحن على أشده..

أكل عادل كما لم يأكل في حياته بصورة بدائية وغير محببة..

وجذبه فيليبو من يده وفمه مليء بالأكل.. وفي إحـدى الأركان قال له:

- شوف حبيبي دا شيك إمسك.. لما ترجـع القـاهرة كلمني عشان فيه مفاجأة..

شعاري دائما هو منين.. يودي على فين؟..

وخللي الكارت دا معاك. دي تليفوناتي

ودا شريط كاسيت مسجل عليه تليفوناتي

والطريقة اللي تطلبني بيها لما تعوزني في حاجة مهمة

تسمع كويس وتحفظ النمرة وبعدين تطلب مفهوم

ودا كاسيت تحط الشريط فيه وتـدوس الـزرار كـدا تسمع.. كدا الشريط يسكت.. كدا ترجع الشريط وكدا الشريط يرجع من أوله وتسمع.. مفهوم.

وأخذ عادل الشريط والكاسيت الصـغير ودسـه فـي جيبه..

***

سحب فيليبو عادل من وسط هذه المطحنة من الأكـل متوجهين إلى عش الزوجية.. ومن على بعد سـمعا عـواء عاليا فتقدمت خطواتهما أسرع وأسرع...

فتح فيليبو عليهما الباب فجأة..

فوجد بربوشة وقد هربت تحـت السـرير.. وهـاهو خربوش مصِر على أن يخرجها من تحت السرير.. ولكنهـا تفلت منه صاعدة قافزة فوق الدولاب..

فيقفز مهرولاً وراءها.. وفوق الدولاب يمسـكها مـن تلابيبها ويمسك رأسها وبدأت تموء في ذعر..

وعادل ينظر في دهشة لفيليبو.. ويحاول الاثنان تهدئة الموقف في ليلة الدخلة هذه الغريبة..

إن عادل مشفق على بربوشة المتخربشة..

أخذ فيليبو عادل ليبوح له بكلمة في أذنه..

ومن وراء ظهريهما شد خربوش بربوشة من شعرها.. وطرحها أرضا.. وهات يا ضرب.. وبربوشة تمـوء طلبـا للنجدة..

- (يا ليلة مطينة بطين..) هكذا قال عادل لنفسه..

ضغط فيليبو على جرس.. فأتى له مرعوب مسـرعا بزجاجة شمبانيا..

وأفرغ كأسين احتسى خربوش كأسا.. فنام على الفور واحتست بربوشة كأسا فنامت على التو واللحظة..

وتقدم فيليبو حاملاً خربوش الهادئ الآن حتى السرير..

تقدم عادل حاملاً بربوشة الهادئة هـي أيضـا حتـى السرير وهو يتمتم لفيليبو:

- هو ليه مستعجل كدا؟.. مش شرط يخش عليها الليلة دي.. يريح النهارده.

وتم وضع العريس والعروسة على المرتبة التـي لـم تدشن بعد..

واصطحب فيليبو عـادل خـارجين.. وظـل البـاب مفتوحا..

قال فيليبو لعادل ملاطفًا كـي يعيـد لـه الطمأنينـة والهدوء..

- أصلهم أتجوزوا من غير ما يتعرفوا على بعض كدا تيك أواي.. لكن وعد مني ما فيش خـرابيش بعـد كدا..

المربية حتربيهم وتعلمهم أصول فن السعادة الزوجية..

ما تقلقشي.. أطمن..

ما دام فيه تربية وفيه تعليم..

يبقى فيه نتيجة..

وهكذا طمأن فيليبو عادل.. ثم احتضنه وودعه قائلاً:

- أنا بحبك عشان أنت مخبول.

وصحبه مرعوب للمطار فـي نفـس العربيـة التـي استقبلته.. وسأل مرعوب:

- يعني إيه مخبول؟

ولم يجب مرعوب عن سؤاله..

وعلى أول طائرة تقوم من باريس للقاهرة..

عاد عادل شديد للقاهرة ثم متجها لوكره لحي زيـنهم، وهذه المرة عاد بمفرده وظل يقظًا دون نوم بينما اسـتقرت بربوشة مع زوجها في باريس.. في جناحها الخاص بعـش الزوجية في قصر فيليبو هناك..

٣

في اليوم الثاني من وصول الطائرة للقاهرة:

وفي الساعة العاشرة مساء خرج عـادل شـديد مـن حجرته رقم ٣٦٠ الذي ينزل فيها في إحدى فنادق القـاهرة الخمسة نجوم.

وفي إحدى الشوارع الجانبية الملاصقة للفندق.. كانت عربيته الشبح الذي أصبح يمتلكها تقف في انتظـاره.. فـتح بابها.. جلس على كرسي القيادة.. وهو ينظـر تجـاه بـاب الفندق الخلفي.. وبعد دقيقة من الترقب تقدم أربعة من الشباب ذوي الجنسيات المختلفة.. كل يحمل حقيبة هانـدباك علـى ظهره.. واندسوا دخل عربة عادل ابن حي زيـنهم الفقيـر المعدم.. الذي صار عادل بيه الآن.. مظهـره.. والعربـة.. والمسدس.. تدل على أن بصمات ويد فيليبو نضحت عليـه وبشدة..

انطلقت العربة التي تحوي ٤ أشخاص غير عـادل.. ولا نعرف إلى أين..

هناك شيء ما غامض في عيون الخمسة.. والعربـة الشبح وسط الظلام صاعدة الكباري.. ثم نازلة من الكباري.. وأمام سوبر ماركت كبير خارج المدينة توقفت..

نزل عادل فتح شنطة عربته أخـرج ٤ قنابـل.. دس قتبلة في شنطة كل واحد من الأربعة.. وأشـار بيـده علـى السوبر ماركت الهدف.. وبدأت الخطة.

رقم ١ يتقدم حاملاً الحقيبة بالقنبلـة داخـلاً السـوبر ماركت هذا.. يتقدم في ثقة يسير في زحام.. ارتطـم بسـيدة أوقع شنطتها.. ثم داس على قدم طفل صرخ.. حاول تهدئته بكل الوسائل.. هدأ الطفل في يد والده.. تقدم واضعا الشنطة بالقنبلة.. متخذًا طريق العودة وحتى باب الخروج..

كان رقم ٢ متقدما صاعدا على السلالم للـدور الأول وقرب دورة المياة يضع شنطته بالقنبلة.. وقد وضع نظـارة طبية على عينيه.. وعند عودته للخروج..

يتقدم رقم ٣ و ٤ يدخلان من الباب الرئيسـي دون أن يفعلا شيء..

وفي عودة رقم ٢ يحاول أحد الخـارجين مـن دورة المياة زق الشنطة بقدمة فيجدها ثقيلة.. فيخـاف أن يلمسـها ويصرخ معلنًا عن وجود قنبلة ويلتف الناس حوله- ويسرع رجال الأمن الذين يجدون على بعد رقم ٢ يحاول أن يجري خارجا وسط الزحام.. فيشكون فيه.. وبالفعل يكون هو فقـد أبلغت عنه سيدة كانت تراقبه.. ويظلـون يضـربوه حتـى يموت.. في الوقت الذي كان رجال الأمن يبطلـون مفعـول القنبلة..

مات رقم ٢..

وتكون مطاردة فجائية بين أحد المشترين ورقم ١ الذي يخرج مسدسا لهذا المشتري.. بينما المشتري يطلب النجـدة صارخًا الحقوني.. الحقوني، وعندما حاول أن ينقض علـى رقم ١ انفلت عيار أصاب ذراع المشتري.. وكان الأمن على وصول.. لاحق رقم ١ بطلقة أردته قتيلاً..

- قرب الباب الرئيسي تجمد رقم ٣ و ٤ بعد سـماعهم الخارجين من السوبر ماركت يحكون عن مقتل اثنين يحملان حقائب بها قنابل..

وفي صمت مدوي.. يتقهقر ٣، ٤ في هدوء خفـي..
عائدين ببطء دون فعل أي شيء نحو العربة الشبح البيضاء..
وقد جلس عادل يراقب الموقف في لامبالاه..

- الساعة الآن العاشرة والنصف.. هكذا تؤكد سـاعة عادل شديد عديم الأب والأم.. ويقولون عنه في حي زينهم إنه لقيط.. ابن سفاح.. انطلقـت عربـة ابـن السفاح شديد.. وهي تحمل رقم ٣، ٤ بعد أن تأكـد عادل أن ١، ٢ قد قتلا وقد علق على هـذا الحـدث لرقم ٣ و ٤ قائلاً.. هو الآخ ١ والأخ ٢ أول مـرة يقوموا بعملية زي دي..

وأكد ٤ أول مرة يا ريس...

وتمتم عادل بينه وبين نفسه.. كدهه.. ا يخرب بيتك يا فيليبو طب مش كنت تقولي.. وأنتم برده زيهم..

رد ٣ و ٤

- لا يا ريس إحنا حاجة تانية.. وأشعلا السجاير..
- اطمأن عادل أن معه اثنين مدربين.. وانطلق فـوق الكباري.. بشبحه الأبيض ثم نازلاً الكباري وعلـى الكورنيش الطويل الممتد.. كان قد وصل قرب حـي

المعادي وتوقف فجأة أمام إحدى العمارات الشـاهقة وقال لهم:

- اتفضلوا..

نزل رقم ٣ ورقم ٤ حاملين شنطهم بقنابلهم على وضع الاستعداد..

أشار لهم عادل بـدخول هـذه العمـارة.. والتوجـه لصهاريج المياه أعلى العمارة..

وخرج عادل خارج باب عربته وأشعل سيجارة ووقف ينتظر النتيجة.

- دخل رقم ٣ و ٤ من بـاب العمـارة. صـعدا فـي الأسانسير حتى الدور العشرين ثم صـعدا عشـرين سلمة حتى كان السطح فتحا الشنطة.. أخرجا القنابل ووضع رقم ٣ قنبلة عند الصهاريج.. ووضع رقم ٤ قنبلة أخرى عند بقية الصهاريج الأخـرى.. كانـت حجرة الكهربـاء وأسـلاك التليفونـات والدشـات والتليفزيونـات وسـيور الأنساسـيرات ملاصـقة للصهاريج..

بهدوء نزلا السلالم.. ركبا الأسانسير.. خرجا منه توجها بشنطتهما الفارغة.. تجاه ابن السفاح.. ابتسموا له.. اندسوا في عربته وانتظروا.. وانطلق شريط الموسيقى الكاسيت الماجن مزغردا من داخل عربته.. والكل يترقب والثلاثة ينظرون في ساعاتهم..

خمس دقائق.. ودوي انفجار هائل.. خرج له كل السكان.. ظنوه زلزالاً.

***

انطلقت الشبح بالفرسان الثلاثة المحروسين.. وقرب إحدى الملاهي الليلية توقفت.. نزل الفرسان الثلاثة.. ورحب بهم مدير الملهى.. ودوى الغناء واشتد الرقص..

وخرج واحد من مطربي العبث ليراقص عادل والرفاق..

وحياه عادل بنقطة ١٠٠ دولار..

واندمج الاثنان في أغنية.. تؤكد السعادة..

***

في الليل الحالك الحزين تم نسف صهاريج مياه هـذه العمارة الشاهقة التي تحوي ٢٠ طابقًا.. وفي كل دور ثماني شقق..

المياه تملأ السطوح.. تتسال على السلالم كالحرامية..

السكان هبوا من أماكنهم.. الشباب.. والبنات.. والكبار والصغار.. والأطفال كل في ملبسـه الـذي يلبسـه الآن.. يهرعون خارجين من شققهم..

يتصادمون في بعضهم.. يسلكون خطـوات أرجلهـم المتعثرة من بعضها..

الكل مبلول.. الكهل مهرول.. أطفال تتزحلق وأمهات تصرخ..

الكل يطرطش على الكل وهم يهبطون السلالم.

انقطعت الكهرباء..

الظلام المرعب.. الشموع يبحثون عنها وأيـن هـي الآن؟.. الكل يلوذ بالكل.. مسـكوا فـي بعضـهم الـبعض متلاصقين كالعجين..

الذعر يسود الظلام.. كلهم حالكون.. من الصـعب أن تفرق بين راجل وامرأة في هذه العتمة..

النزول من على السلالم أسهل بكثيـر مـن صـعود السلالم.

ولكن لكل قاعدة استثناء.. ها هو النـزول الصـعب.. والزمن لا يوجد..

- وجعلنا من الماء كل شيء حي..

ومن منا يستطيع أن يتخلى في حياته عن الماء..

وكيف الوصول إلى الماء الآن.. تساؤلات محمومـة باردة في عقولهم..

هذه العمارة العديمة المياه والصهاريج والكهرباء هكذا صار مصيرها..

كارثة.. كارثة.. بكل المقاييس كارثة.. والسـاعة الآن ١٢ مساء لا ماء ولا كهرباء، والذين هبطوا حتى الآن أكثر من ٥٠٠ شخص تشكيلة آدمية في ملابس أكثر غرابة..

صاروا أسرة واحدة.. حولهم الخطـر جميعـا إلـى إنسانيين.. رحماء ببعضهم..

سبحان ا في خلقه.. لقد أخذ النوم أجازة فـي هـذه الليلة المشئومة.. وبدأوا يفكرون في أن يصعدوا للعمـارات المجاورة..

يحملون بالأمل.. والأمل بالنسبة لهـم هـو السـحر الطازج الذي لم نتوصل إليه بعد.. لكنهم يتمسكون به الآن لا محالة.

هكذا كان الإحساس الذي يلفهم جميعا في تلك اللحظـة من الزمن..

٤

عجائب الدنيا كثيرة.. لكن أعجبها هو الإنسان.

وفرحانة هذه من نفس الحي (زينهم) حـي المسـاكين نفس الحي الذي ولد فيه وترعرع عادل شديد..

امرأة يتيمة الأب والأم.. تم إرضاعها بطرق كثيرة.. لا تعرف القراءة ولا الكتابة.. مضى عليها في هذا الحي ٢٥ عاما.. ولديها ٩ أطفال مات واحد منهم فصار عندها ٨.

لم يكن عند المحروس جوزها واسمه محروس حاجـة تشغله سوى الخلفة.. وتبييض النحاس شغلته.. لكـن متعتـه الوحيدة في الدنيا.. (القفز) فكانت فرحانة كلما أنارت النـور يقوم محروس من نومه ويطفئه.. ولما كان يخاف أن يصحو أولاده فقد كان يتسحب من على الحصيرة فـي خفـة لهـا العجب.. دون إحداث أي صوت.. يطفئ النور ويشمع الفتلة وينقض على الغلبانة فرحانة.. وإذا عصلجت يشـيلها شـيل بعيدا عن الأولاد..

أولاده ٨ ينامون كفئران مذعورة. شكلهم وهم نائمون وكأنهم أخذوا سم فيران.. وهم متكومين بجانب بعض..

وكلما وقعت عينا محروس على فرحانة قرب الفجر لا يتركها قبل أن يرويها حتى تصبح جثة هامدة..

ويكافئ نفسه دائما بكوب شاي يعمله بنفسه ويجلس في سلاطنة يرتشف الشاي بصوت عال.. ويقول لهـا مـداعبا.. الأرض الشراقي تموت لو ما لقتش اللي يرويها..

ودائما ما تجد فوطة بجانب يده حتى إذا ما أصـدرت فرحانة أي صوت لحظة النشوة كتمها بسرعة.. ويقول سعيد لها: بذمتك عمر حد سمع صوتك..

فترد عليه في نشوة.. البركة فيك كله م المسلح (تقصد طبق الفول) هو اللي مخليك عفي كدا..

- أوعى تكون يا محروس بتقول الكـلام دا ُأدام حـد غريب أوعى..

فيرد عليها وهو يرتشف البق الأخير:

- عيب يا وليه شعيرنا ولا قمح غيرنا..

***

كان الفقر يسكن عند فرحانة.. بيتهـا قـول متعـاص بيت.. قول فهو خيمة مقطعة صالبة طولها بالعافية علـى ٦ أعمدة نبابيت خشب مربوطين من النص بخلجـان قديمـة.. والخيمة تعرفها بكتكوت أعرج.. ووزة قذرة متسخة بالطين.. تسرح طول اليوم تأكل من الصرف الصحي قرب ماسـورة مفتوحة.. ثم تعود قرب الليل.. كم تمنت هذه الوزة أن تجـد مكانًا لها في داخل الخيمة.. ولكنها دائما تعود متأخرة فتجـد الخيمة دائما مغلقة.. فتسلم أمرها وتسلي نفسها بصـوتها الذي يظيط طول الليل فلا ينامون..

في الصباح استيقظ أولاد فرحانة الـ ـ ٨.. وكانـت فرحانة تحضر الطشت أخذت كوز المـاء وكشـفت غطـاء الزير تملأ الكوب وتسكبه في الطشت حتى ساح..

وفي إحدى أطراف الحجرة كانت الطشت يحجزه عن الأولاد ستارة قديمة معلقة بأستك.. شدتها فرحانة.. فأصـبح محروس معزولاً عن الأولاد.. استحمت وليفـت زوجهـا.. ولبست جلبابها.. ومحروس لـبس جلبابـه وشـد السـتارة وخرجا..

وحملت الطشت بالماء ورشته أمام باب الخيمة علـى الوزة الظايطة التي أغرقتها المياه فأصبحت كمـا الكتكـوت الشركسي..

عادت وركنت الطشت ومدت يدها داخل برنيه فخـار أخرجت صدغ لفت وخرطة مش.

وبدأ موكب الفطور.. ومحروس في يده براد الشاي..

قالت فرحانة لأولادها الثمانية يالا فطروا نفسكم..

انقض الثمانية على البرنيه المعبأة باللفت والمش..

وصرخ فيهم محروس.. حاسبوا البرنيه تتكسر..

كان يوم مهبب يوم ما جيتوني..

وأفرغ لنفسه كوب شاي وأخذ يرشف بصوت عال..

بينما فرحانة كانت تأكل رغيف بتاو حاف حضنته في يدها بقوة.. خوفًا من الهكسوس أولادها الثمانية.. أن ينقضوا عليه..

***

في حي زينهم يوجد آلاف الأطفال الـذي لا يمتـون لشكل الطفول بصلة، يتحركون بلا وعي.. أطفـال يجـرون كالجرزان.. الخارجة من جحورها.. لـيس لهـم طعـم ولا

شكل.. ولا معنى.. منتشرون ملوثون قذرون.. يسيرون ويتكلمون.. ويتحركون في شرود كتيار ماء يسير دون وعي..

الآباء.. الأمهات.. العجائز في هذا الحي جلودهم مشدودة على هياكل عظيمة وكأنهم (متعاصين بني آدمين)..

ها هو شكل الحي.. نسل هادر كثيف.. متلاحق يدخل في زحام ويحتك في عصبية، ويحدث ضجيجا مدويا دون تبرير له والأمراض تلاحقهم وتقضي عليهم ولكن من كثرتهم لا تحس بنقصانهم.

***

أمام فرن المعلم سنوسي.. وفي شارع السد في حي السيدة زينب توقفت فرحانة وخرج عامل من الطابونة وضع فوق رأسها مشنتين عيش حوالي مائتين رغيف.

وحول فرحانة أولادها الثمانية.. أربعة مربوطين في حبل تمسكه في يدها اليمين.. وأربعة في يدها الشمال..

وتمر فرحانة على البيوت تخبط وتقدم لهم طلباتهم من عيش وتأخذ الثمن، ثم تسير بهذا الموكب الذي يحرسها..

وفي إحدى التخبيطات فوجئت بساكن في السيدة زينب يفـتح لها بابه.. ففتحت بقها في دهشة سائلة..

- أنت مين؟
- وأنتي مين؟
- أنا فرحانة بياعة العيش..
- وأنا مسعد اللي عاوز عيش..
- هم عزلوا اللي كانوا هنا..
- عزلوا.. وأنا الساكن الجديد..
- واسم الكريم..
- مسعد سعيد.. إديني خمس ترغفة..
- هو أنت مش متجوز..
- لأ مش.. ومين دول..
- ولادي ٨ في وش العدو..
- وربطاهم ليه..
- خايفة عليهم..
- من إيه؟..
- حد يخطفهم..

- دخليهم يغسلوا المواعين.. وأنتـي خشـي اكنسـي الشقة..
- وسنوسي اللي باشتغل عنده.. لـو اتـأخرت عليـه يموتني..
- كلها ساعة وتروحيله.. أنتي مش بتاخدي وقت تأكلي فيه..
- باخد..
- خلاص خشي سخني الأكل واغرفيلـي.. والعيـال تِأَكلِيهم اللي يفضل في الحلة. وتكنسيلي الشقة لحد ما اشوف واحدة تغسلي هدومي..
- يا عيني ع العازب..
- ما تحسرنيش على عمري بقى وخشي.. مين قالـك إنى عازب؟
- يا ساتر يا رب..

وضعت فرحانة مشنة عيشها ورا الباب الـذي أغلقـه مسعد هذا الشاب الوافد على المدينة من بلدته كفر الدوار في البحيرة..

امسك مسعد سكينًا رأته فرحانة فصرخت ظنـت أنـه مجنون وأنه سيذبح أولادها فصرخت.. هـدأها وقـال لهـا حفكلهم الحبل.. مالك فيه إيه.. بتصوتي ليه؟

قالت له:

- بالسكينة.

- بالسكينة كدهه.

وفك عنهم القيد فانطلقوا كالفئران المذعورة في داخـل شقته وجرى الثمانية على المواعين.. وهي على البوتاجـاز لتسخن الأكل.. بينما راح مسعد يحلق ذقنه..

ومن على بعد شاهدت فرحانـة التليفزيـون الملـون فتسمرت في مكانها..

نسيت كل شيء وجلست أمامه..

وفي تحركات مسعد وجدها جالسة..

- فين الأكل.. (وهي تشير على التليفزيون)..

- أول مرة تشوفي تليفزيون؟..

- الراديو معنديش.. مين اللـي ملونهولـك.. عنـدك ألوان..

ضحك مسعد وتحرك تجاه البوتاجاز ليحضـر لنفسـه الغذاء..

ولكن فرحانة أسرعت لتحضر له السـفرة.. وعلـى السفرة اصطف الثمانية.. وبدأت معركة الأكل يـأكلون فـي حرمان وخوف وذعر..

شجعهم على الأكل.. فتحمسوا في شجاعة.. وانقضوا على الأكل بغير رحمة.. ومسحوا الأطباق جميعا..

ضحكت فرحانة وقالت له:

- معلهش أصلهم جعانين.. ومحـرومين.. روح ربنـا يطول في عمرك يا أبو أكل حلو..

أنا جوزي مبيض نحاس.. واسمه محروس..

وحضرتك بتشتغل فين؟..

- في نادي رياضي..
- أُمال أمك وأبوك فين؟..
- ماتوا.. ا يرحمهم..

راحت في بكاء.. وتعاطف معها أولادها الـ ٨ فبكوا مثلها.. وتحول الغذاء إلى مناحة..

قدم لهم مسعد فوط ليمسحوا دموعهم.. وجدها معجبـة بالفوطة فأشار عليها بأن تأخذها..

نظر لرجليها فوجد فردة جزمة كُوتشي وفـردة بلغـة قديمة.

فمد يده بجانبه في حذاء كوتشي.. أخذته في فرح ولفته في الفوطة. وضحكت.. وضحك أولادها.. وقامـت لمشـنة العيش لكي تخرج حتى سمعت صوت مسعد وهـو يحضـر الشاي ويتمتم بأغنية شعبية..

يحيـــا أبوهـــا يحيـــا	
	عـــاوج الطربـــوش علـــى ناحيـــة
أبويـــا قـــاللي ســـيبك منـــه	
	وأنـــا أجـــوزك أحســـن منـــه
رأجـــل كبيـــر يفهـــم عنـــه	
	قمـــر يـــا قمـــر يـــا عروســـة أخويـــا
يا ملبساني جزمتك يا مقلعاني جزمتك	
	على كل حال أنا عمتك يا عروسة أخويا
كوباية زبيبي يا ولة كوبايـة زبيبـي	
	لو قطعوني يا ولة مـا أسـيب حبيبـي

قهقهت فرحانة هي وأطفالها الثمانية.. وعلقت فرحانة مداعبة مسعد:

- ودا من إيه يا أُستاذ؟؟ معقولة.. دا أنت قلبك طيـب قوي ودمك خفيف..

لكن قولي أنت مطرب؟ وألا مدرس؟ وألا ممثل؟

- أنا درست فلسفة بس ما كلمتش.. بس بـ ذاكر علـى طول فلسفة برضه.

ظروف مادية هي السبب اللي خلتني ما كلمتش، كـان فاضلي سنة وآخذ الليسانس.

عارفة فلسفة يعني إيه؟

- لأ.

- يعني حب الحكمة. المهم إنتي متجوزة؟

- أُمال العيال دول من مين؟

- مِنك؟

- أُمال منين يا أستاذ؟

- من جوزك؟..

ضحكت على هذه الدعابة اللطيفة..

- يا بختك مش شايل للدنيا هم..

- واشيل هم ليه.. إحنا كلنا ضـيوف جـايين نـزور وماشيين.. الجدع مننا اللي يسيب ذكرى كويسة قبل ما يمشي.. عشان ربنا يفتكرهاله.. وهو بيحاسبه.
- يا سلام يا أستاذ.. وإيه اللي مِلزقه على الحيطان..
- دي مقالات بحطها على الحيطة علشـان أقراهـا.. والمقالة اللي بتعجبني بسِبها على طول عشان أقرأها تاني..

أنا أشيل همها ليه.. أنا ما بحبش المشاكل.. وكمان أنا ما عنديش مشاكل وبما أن الدنيا كلها مشاكل.. يبقـى فـين المشكلة؟

- يا سلام.. شوف أزاي.. أُمال حارتنا والحواري اللي جنب حارتنا كلها مشاكل ليه.. وبتاع الفرن الراجـل القادر سنوسي كله مشاكل ليه.. مع أن ربنا مديلـه ومبسوط بقالي سنة باشتغل عنده.. في يوم محروس جوزي تعب شوية.. قعدت جنبه ساعة أدعكله رجليه وظهره ويدوبك جبت جرنان وحطتهوله على صدره ولبسته الفانلة أم كم طويل/ أصل بعيد عنك برد شديد

جرحله زوره وهد له عضمه.. عوقت ساعة عنـه..

هي ساعة اتأخرت عن الفرن وعنها قاللي سنوسي:

ما شوفش وشك تاني.. شوف قلة أدبه؟ ما هو شبع بعد جوع أصله مش متربي.. أنتى يا ولية أنتي لو شفت وشـك هنا تاني حا اطعهوك.. أصلي كنت بضحك وأنا بكلمه مـا طَقْشِ ضحكتي.. وعنها قاللي: أقفلي الشروقة دي.. أصـله كان فران.. أنتي لسة واقفة.. امشي من أدامي.. جاتك ستين نيلة تحنسي بيها أخواتك..

قُلتله: دي ساعة يا معلم اللي اتأخرتها. أصل جوزي.. ولسه ما كلمتش ما ادنيش فرصة أخلص كلامي.. وهبش في وشدني من إيدي.. وزقني على حمار كان واقـف ورايـا.. الحمار كان حيرفسني في بطني.. لولا ستر ربنا عطس فـي وشي.. ومش كدا وبس.. ضربني بمشنة العيش في جنبـي.. ولحد النهاردة جنبي بيسمع في وداني لما باخذ لطشة برد.

- وانتي إيه اللي غصبك تشتغلي عنده.. ما دام ضربك ورحتيله تاني يبقى أنتي الغلطانة.. ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا يا فرحانة.. لازم الإنسان يبقى عنده كرامة.. ربنا اللي بيرزق.. (وعشان تكـون إنسـان

كدا.. لازم تقف ضد العدا.. مسنود كدا على دا ودا.. تمتلك كرامتك.. مين اللي قالك تقلعه.. حـط عقلـك وازرعه مطرح ما كان..) (قال هذه الحكمة وكأنـه يخطب فيها).

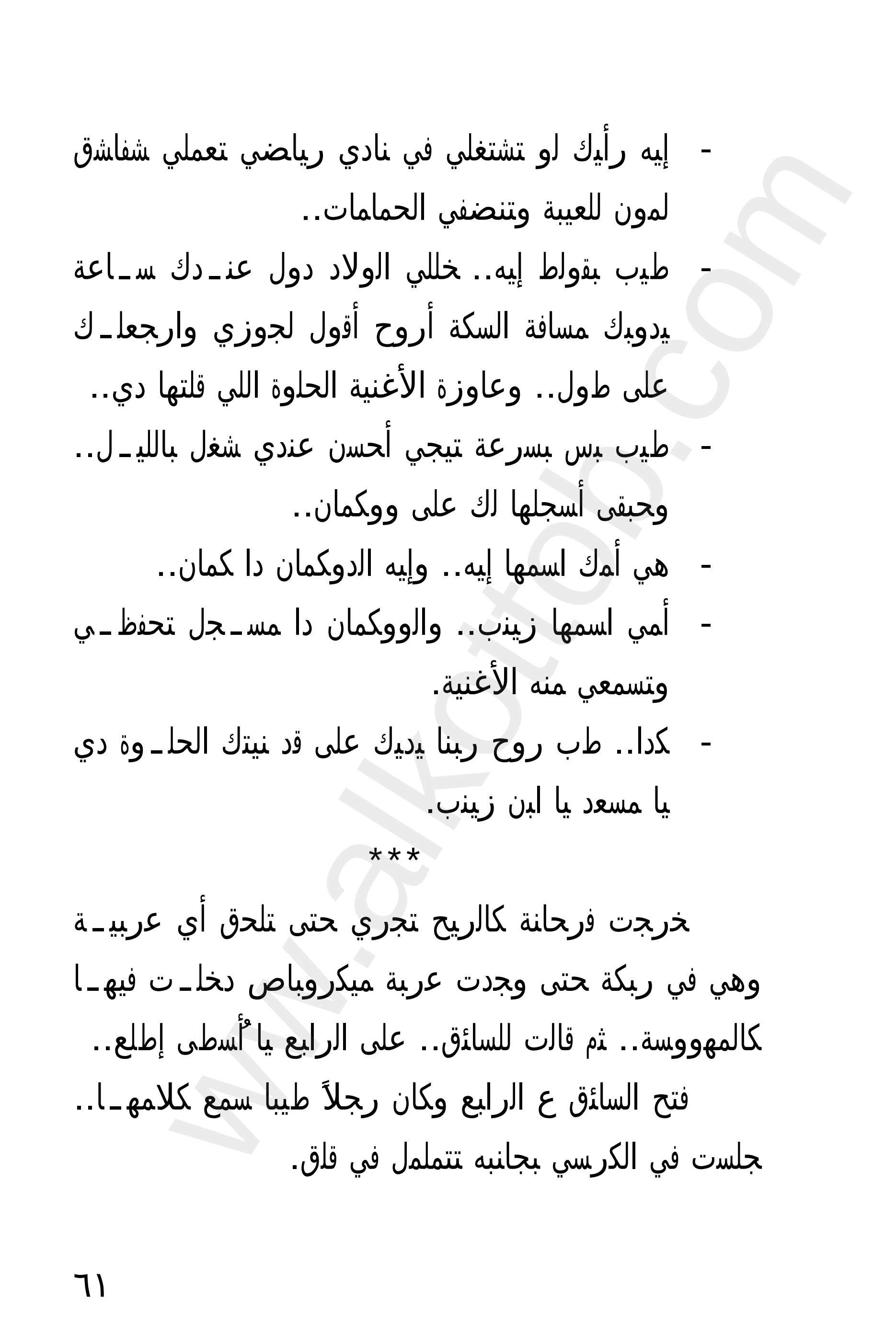
كرامة الإنسان يا فرحانة هي اللي تخلي له قيمـة أدام اللي يسوي واللي ما يسواش. لازم تحسي بعزة نفسك مهمـا كانت الظروف..

- الكـلام اللـي بتقولـه دا حلـو عـاوزه احفظـه وفهموهولي..
- اسمعي.. يا ابن آدم لا تخف من ذي سلطان.. ما دام سلطاني باقيا..

وسلطاني لا ينفد أبدا.. ولا تخش من ضيق الـرزق.. وخزائني ملآنة.

وخزائني لا تنفد أبدا.. فهمتي ربنا اللـي حيرزقـك.. افهمي.. مش سنوسي اللي بتكلميني عنه هو اللي حيرزقك..

- يا سلام.. ونعم با .. ا أكبر.. طب شوفلي شغلانة بكرامة بقى زي حضرتك ما بتقول استرزق منها..



- إيه رأيك لو تشتغلي في نادي رياضي تعملي شفاشق لمون للعيبة وتنضفي الحمامات..
- طيب بقواط إيه.. خللي الولاد دول عنـدك سـاعة يدوبك مسافة السكة أروح أقول لجوزي وارجعلـك على طول.. وعاوزة الأغنية الحلوة اللي قلتها دي..
- طيب بس بسرعة تيجي أحسن عندي شغل بالليـل.. وحبقى أسجلها لك على ووكمان..
- هي أمك اسمها إيه.. وإيه الدوكمان دا كمان..
- أمي اسمها زينب.. والووكمان دا مسـجل تحفظـي وتسمعي منه الأغنية.
- كدا.. طب روح ربنا يديك على قد نيتك الحلـوة دي يا مسعد يا ابن زينب.

***

خرجت فرحانة كالريح تجري حتى تلحق أي عربيـة وهي في ربكة حتى وجدت عربة ميكروباص دخلـت فيهـا كالمهووسة.. ثم قالت للسائق.. على الرابع يا أُسطى إطلع..

فتح السائق ع الرابع وكان رجلاً طيبا سمع كلامهـا.. جلست في الكرسي بجانبه تتململ في قلق.

***

بينما مسعد قد فتح التلفزيون لأولادها الثمانية ليشاهدوا برامج الأطفال، كان التليفزيون يقدم حلقات اسمها فوري وآلة الزمن..

وفوري هذا رسم متحرك بالكرتون لشاب مغامر يقود سفينة إلكترونية في الفضاء يطير بها عبـر كـل الأزمنـة والعصور يقابل المستبدين والظـالمين يـدخل معهـم فـي صراع.. ومعه أصدقاؤه.. كلب اسمه حب حـب.. وكيكـي صديقته وأظافرها تحوي أشعة الليـزر.. ومـا أن تبـدأ أي معركة حتى ينتصر فوري مع معاونيه، ونخرج بالحكمة في نهاية الصراع التي تؤكد أن الخير هو الأبقى على الأرض..

وما أن انتهت الحلقة التليفزيونية فوري وآلـة الـزمن حتى قفز مسعد من سريره وسحبت يده من تحت سريره (بار جديد) وبدأ يلعب تمرينات تقوية البدن وأولاد فرحانة يرقبونه ونسوا التلفزيون..

صاح ولد من أولاد فرحانة قائلاً له

- أنت اللي كنت من شوية في التليفزيون..

- أيوه أنا.. بس أنا دلوقتي برة التليفزيـون باسـتريح شيوة..

وضحكوا وهم يصيحون صيحة واحدة.. فوري آهه.. فوري أهه بره التلفزيون، بينما مسعد يسير أمـامهم مقلـدا حركات فوري الأليط في مشيته.. حتـى أوشـك مسـعد أن يصدق نفسه..

***

دق جرس التليفون في شقة مسـعد بسـرعة.. رفـع السماعة كان الهاتف دعاء البيلي زوجته البيضـاء الجميلـة التي تعمل في مصنع نسيج صباحا وعلى مكنة خياطة مساء. وحاصلة على شهادة الثقافة.. وتبلغ من العمر ٣٥ عاما..

صعد على السرير بسرعة وتكوم على نفسه في دفء مفعم بالسعادة..

وقد ترك كشكوله الذي يكتب فيـه تأملاتـه وبعـض الأشعار حدثته دعاء عبر الهاتف قائلة:

- اسمع يا مسعد.. اسمعني.. ما تقاطعنيش أحسن أنـا بكلمك م السنترال من كفر الدوار.. بقولك إيه أنـت كويس..

- كويس..
- قلتلك اسكت ما تقاطعنيش.. اسمع لو الحالة الماليـة معاك مش كويسة ممكن تشتري شوال جزر أصـفر وتخيله في أودتك حتوفر كثير.. ممكن تفطر وتتغذى وتتعشى منه.. ممكن تعمل جزر بالسكر.. وجـزر بالملح.. وجزر مربة.. وجزر مخلل.. وشوربة جزر حادق وحلو.

وممكن تربي حمام.. فكرة أحسن اشتري عصـافير.. ولما تخاف بيع لصحابك..

- أخاف..
- مسعد مش وقت هزار بقول ع العصافير.. أنا لسـه قدامي ٧ شهور عبال ما أولد.. يا سلام لو زرعـت مشرم.. أنا حلمتلك حلم إنك شايل شنطة كلهـا ورق ملون..
- صح شنطة ورق فيها الجرايد اللي عنـدي.. كنـت رايح أبيعهم للبقال..
- بقولك ورق فلوس مش جرايد.. اسمع يا مسـعد أي ورق جرايد يتكوم عندك بيعه.

- ما أنا كنت رايح أبيعه.. دلوقتي.. لـولا تليفونـك.. دعاء يا حبيبتي خللي بالك م اللي في بطنك وحاسبي عليه من تحركاتك في المصنع.
- حاضر.. واحشني يا مسعد.. هو أنا أنسـى جمايـل المرحومة أمك.. والا المرحوم أبوك.. وإزاي كانوا بيراعوني وأنا صغيرة..

قاطعها مسعد غصب عنه:

- وأزاي سامي أخويا؟
- سفروت.. في عيني..

سفروت هذا هو اسم الدلع وهو أخو مسعد الأصغر.. واسمه سامي سعيد يبلغ من العمر ١٠ سنوات هو الذي تبقى وبقى على قيد الحياة مع أخيه الأكبر مسعد، فلقد غرق الأب والأم في المعدية.. ونجا من نجا ومات من مات.. حدث هذا منذ سنوات في إحدى بحيرات كفر الدوار.. وقد أخذت دعاء سامي ليعيش مع أسرتها يقدمها له الرعاية والحنـان حتـى يعود مسعد لهم من رحلته للقاهرة ويكتمل الشمل من جديد.

٥

وصلت فرحانة ودخلت على محروس وهي تـنهج..
وكان محروس جوزها داخل طشت يلمعه برجليه في مكـان قذر في زينهم وكل الناس شايفاه.. فهـو مبـيض نحـاس.. ومحله هذا عبارة عن عمودين خشب وملاية فوقهم.. وعلى الأرض في الشارع الحلل والطشوت..

خرج محروس من داخل الطشت مذعورا وكأن حيـة لدغته.

- فين العيال يا وليه.
- عند مسعد.. شاب طيب وابن حلال حيشغلني شغلانة حلوة أوي..
- يا نهار أسود.. فيه واحدة عاقلة تسيب عيالها عنـد واحد غريب.. ما تعرفهوش..
- ما اعرفهوش ازاي.. دا أكلنا وغنالنا..
- كمان غنالكم.. يا هطلانـة يـا بـت المهطولـة.. حتشتغلي عند مغني..

- هو مش مغني.. دا في نادي.. موظـف.. وكمـان حيردلي كرامتي..
- مالها كرامتك.. ما لنا ومال الكلام الكبير دا..
- طب روحي .. ما دام فيه قـرش زيـادة روحـي.. واربطي العيال في سنانك.. خلصـي شـغلك ومـا تتأخريش.. قلتيلي اسمه إيه..
- مسعد..
- مسعد إيه..
- مسعد بن زينب..

ثم دخل محروس في الطشت ثانيـة يبيضـه برجليـه وهات يا دعك فيه/ يمين وشمال من يشاهده على بعد يظـن أنه راقص/بس متطين بطين..

بينما فرحانة دبت الريح في رجليها مسرعة نحو هدفها مسعد.

***

الشمس مشرقة.. والحياة مستمرة تجدد نفسها بنفسها.. ونظام الكون ثابت وا موجود.. خالق المخلوقـات كلهـا..

وكل منا يحمل كفنه ويسير.. ولا يعرف أحد منا متي يجيء عليه الدور..

قالها سائق عجوز عربة نص نقل.. كان الراكبون ١٠ مسعد وفرحانة وأولادها.. هز مسعد رأسه منتشيا بما سـمع متمتعا... ونعم با ..

استطرد السائق العجوز موجها كلامه لمسعد..

- أنا زي حباية الفول لازم حتتهـرس.. حتتهـرس.. عارف المطحنة اللي بتطحن الفول. عارفها.. الفول بيترمي مبلول وهي هات يا طحن.. هات يا طحـن. دراع المطحنة يا خد الفول ويفضل يهرس ويهرس.. الدراع شغال.. ساعات حباية تفلـت مـن الهـرس وتستنى على جدار المطحنة.. وتتلازق تفتكر نفسـها فلت من الطحن وتقف تبص علـى إخواتهـا اللـي اتهرسوا.. فاكره نفسها يعني نجت م الهرس.. نسيت إنها مبلولة.. وأول ما تنشف الميه منها.. يـا ولـداه حتقع لوحديها وتتهرس زيهـا زي اللـي اتهرسـوا قبلها.. أنا بقى حباية الفول دي في سني دا.. تِـديني كام سنة..

- سبعين سنة..
- واحد وثمانين سنة وبدخن كمان..
- ربنا يديك الصحة..

وأشار له بالتوقف عند نادي الزمالك..

***

أمام نادي الزمالك.. فرحانة تجر أولادها وراءها..

دخلوا من الباب الرئيسي يسيرون ويتلفحون بالأخ المنقذ مسعد.. وفرحانة وأولادها لأول مرة يشوفوا النظافة ودفء الشمس والناس النضاف.. مشدوهة ومشدودة على آخرها.. تنظر على الكل في لهفة..

وفجأة عرج مسعد بهم على أحد الأبواب قرب مكاتب الإداريين.. قرع أحد الأبواب.. ودخل وبقيت فرحانة وأولادها ينتظرون..

قال مسعد للأستاذ بهي الدين أبو الفتح المسئول الإداري للنادي..

- فرحانة اللي قُلت لسيادتك عليها برة ع الباب بس معاها ولادها الثمانية أصلها لسة ما روحتشي..

رد بهي عليه قائلاً:

- خليها تدخل هي وولادها..

ودخلت فرحانة في أدب شديد وخجل ووقف أولادها جانبا.. واصطفوا صفًا ثم تقدمت له وسلمت عليه..

أخبروها أن مسعد سيشرح لها عملها.. شكرته وانصرفت مع أولادها..

قال لها مسعد.. مِدى شوية.. أصبحت تمد والأولاد معها يمدون حتى سلمها مسعد لعديلة هي فراشة قديمة في النادي تعمل في إحدى الصالات الرياضية.. واستأذن مسعد منها وذهب لحال سبيله.. فقد كان هو المسئول عن ملابس الذين يتدربون في الصالة الرياضية. يأخذ ملابسهم ويعلقهم على الشماعات وينسقها مع أحذيتهم وساعاتهم ونقودهم.. وما أن ينتهي اللاعبون من تمارينهم حتى يهيئ لكل واحد ملابسه دون أن يخطئ.. وكان محبوبا من الجميع..

وما أن رأت عديلة فرحانة حتى سألتها عن اسمها فقالت لها فرحانة:

- ودول مين اللي في إيدك؟
- دول ولادي..
- روحيهم وتعالي..

- حوديهم فين لو فيه شغلة هنا شغليهم..
- طب خليهم في البيت لحد ما نشوفلهم شغلانة..
- أبوهم في الشغل مبيض نحاس..
- إديهمله عشان أنتي دلوقتي حتشتغلي هنا وحتاخـدي مرتب ثابت..
- على طول يعني حا اشتغل..
- أيوه..
- خلاص إديهم لأبوهم.
- على الأقل يتعلمـوا حاجـة منـه.. يعلمهـم إزاي يبيضوا..
- خلاص يعني أروح أروحهم وآجي..
- روحي هو البيت فين؟..
- في زينهم.. مسافة السكة.. اكتبيلي العنوان هنا..
- أنتى بتعرفي تقري..
- لأ..
- أُمال اكتبلك إيه..
- أي حد يأرهولي..

- خدي عربية من هنا توصلك بيتك مع حـد.. وأنـا حاسيبلك خبر علـى البـاب يـدخلوكي.. معـاكي فلوس..؟
- معايا ٢٠ جنيه كل اللي معايا من أسبوع..

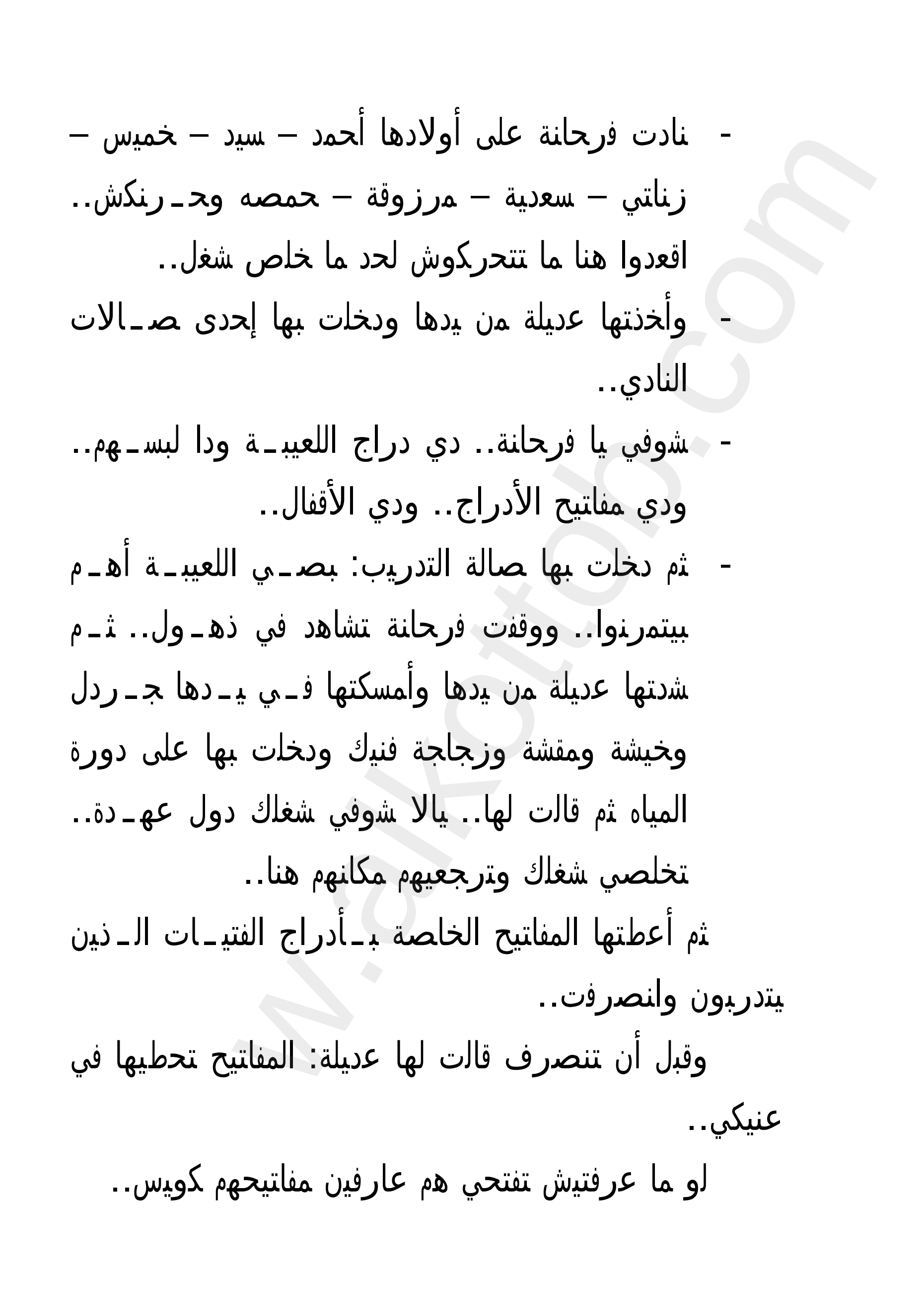
قالت لها عديلة طب يـالا روحـي علشـان تلحقـي الوردية.. ما تتأخريش.

***

خرجت فرحانة مهرولة ومعها فـي ديلهـا الأولاد.. حاولت أن توقف عربية كارو دون جدوى فعـادت داخلـة النادي مهرولة مرة أخرى لعديلة..

ما أن رأتها عديلة حتى اندهشـت.. مالـك.. حصـل إيه؟..

- ما فيش تاكسيات رياضية تقف.. أنا حاقعد العيال هنا مش حيتحركوا من مكانهم وأنتى قوليلي حا اعمل إيه ومن بكره مش حتلاقيهم معايا..
- طب قعديهم..



- نادت فرحانة على أولادها أحمد – سيد – خميس – زناتي – سعدية – مرزوقة – حمصه وحـرنكش.. اقعدوا هنا ما تتحركوش لحد ما خاص شغل..

- وأخذتها عديلة من يدها ودخلت بها إحدى صـالات النادي..

- شوفي يا فرحانة.. دي دراج اللعيبـة ودا لبسـهم.. ودي مفاتيح الأدراج.. ودي الأقفال..

- ثم دخلت بها صالة التدريب: بصـي اللعيبـة أهـم بيتمرنوا.. ووقفت فرحانة تشاهد في ذهـول.. ثـم شدتها عديلة من يدها وأمسكتها فـي يـدها جـردل وخيشة ومقشة وزجاجة فنيك ودخلت بها على دورة المياه ثم قالت لها.. يالا شوفي شغلك دول عهـدة.. تخلصي شغلك وترجعيهم مكانهم هنا..

ثم أعطتها المفاتيح الخاصة بـأدراج الفتيـات الـذين يتدربون وانصرفت..

وقبل أن تنصرف قالت لها عديلة: المفاتيح تحطيها في عنيكي..

لو ما عرفتيش تفتحي هم عارفين مفاتيحهم كويس..

واضحكي إنتي مكشره ليه.. آخـر النهـار حتلاقـي الأستاذ مسعد حيمضيكي إنك اشتغلتي النهـارده.. سـلامو عليكو..

- اطمأنت فرحانة أن مسعد موجود ضـحكت وبـدأت العمل.. استلمت الحمام أولاً هات يا نظافة فيه..
- ثم عصير الليمون وتحضير الشفاشق...

ما أن انتهى التمرين حتى هجمت الفتيات على الأدراج وهن يصرخن يا عديلة يا عديلة فوجدوا في وجههـم وجـه صبوح مشرق باسم اسمه فرحانة..

- قالت لهم فرحانة.. أنا فرحانة.. والمفاتيح آهـه يـا حلوين يا طعمين.. يا لا ربنا يحميكوا لشبابكم..

أخذوا منها المفاتيح يفتحون أدراجهم بينما هي تصـب لهم الليمون في سعادة، ويبـدو أنهـم اسـتراحوا لوجههـا الجميل..

ووقفت فرحانة كطفلة تتفرج على البنات وهـزارهم.. وهم يرتدون ملابس الخروج.. وبدأت فرحانـة فـي تقـديم أكواب الليمون لهم..

فوجئت فرحانة بأن كل واحدة من الفتيـات العشـرين يعطيها جنيه على كل كوب.. كم كانت سعيدة.. في نصـف ساعة لمت ٢٠ جنيه في حين أن تكاليف الليمـون والسـكر كلفها ٥ جنيه والشفشق والأكواب من النادي..

- سألت فتاة فرحانة.. إنتي اسمك ايه؟..
- فرحانة..
- ربنا يفرحك أكثر وأكثر.. وإن كنـت أشـك إنـك فرحانة.. دا إنتي تلاقيكي غلبانة.. مـش فرحانـة.. خدي دا ليكي إلبسيه..
- لي أنا.. بس دي ملونة أوي..
- آه.. دا ترينج سوت..

قبلت فرحانة الفتاة.. وأخذت الترننج وأنهـت عملهـا وخرجت مسرعة حيث أولادها. فوجدت في الطريق مسـعد الذي أخبرته أنها اشتغلت النهارده وخلصت وأن هناك فتـاة أعطتها البيجامة الملونة دي..

- ضحك مسعد وقال لها.. دي مش بيجامة.. دا ترننج سوت.. اللووكمان أهو.. والأغنية عليها/ السـماعة

كدهه في ودانك وتسمعي.. وعمل لها بروفـة لكـي تقلده..

وقدم لها كشفًا بصمت فيه ثم أخذت أولادها والتـرننج سوت وانصرفت فرحة بأول يوم عمل. وشكرت ربها وهي تضع السماعة في أذنيها وتسمع الأغنية..

***

مصر الجديدة بمبانيها الشـيك الراقيـة وطرازاتهـا المثيرة.. ومن على بعد نرى هذا القصر المـزركش بكـل الألوان. قصر من هذا ذو الحديقـة الكبيـرة التـي تشـرح الصدر؟ قال سائق عربة ومعه أصدقاء وهـو فـي طريقـه لمصر الجديدة.. دا قصر المليونير عادل ودا رجل أعمـال كبير.. عادل شديد

رد عليه الجالس بجانبه.. عادل.. الاسم دا مش غريب على.. كان ساكن في حي زينهم.

قال الجالس في الخلف: زينهم إيه يا راجـل بقولـك عادل بيه شديد اللي لسة راجع من برة.. دا عنـده مؤسسـة وجمعيات خيرية كبيرة في الخارج.. بيسافر لها كل سنة..

رد الجالس بجانبه.. اسمعني أنا كويس: عادل شديد دا نصاب وأنا اللي بقولك.. وحرامي كمان وبلطجي.. أنا أعرفه كويس.. أنا باحث اجتماعي ولازم تعرف يا أستاذ يا مـتعلم أن الانفتاح الاقتصادي والاستهلاكي نقـل شـرائح معدمـة وجاهلة من خانة الفقر إلى خانة الثراء الفاحش بدون سـبب معروف، وبكره تعرف إن النصاب دا واحد منهم.

قال الأول: يمكن ا أعلم.. وإيه اللي عامله في قصره دا / إيه الأنوار والكهارب دي كلها..

قال الثاني: أكيد بيحتفل.. أنت ناسـي أن بكـره رأس السنة..

قال الثالث: يقوم يحتفل النهارده..

قال الرابع: تلاقيه بيعمل بروفة عشان بكره.. حاجـة كدا زي ما تقول مسح زور عشان يعرف يظلط كويس..

قال الأول: يا عم شوف لنا غنوة في الراديـو تـروق دماغنا.. ودوس ع الرابع خلينا نلحق نـروح.. دع الخلـق للخالق..

٦

تمكن مسعد مسعود من الحصول على دعوتين لحفـل حضور رأس السنة الذي يقيمه كل عام.. المليونير عادل بيه شديد.. وأعطى فرحانة دعوتها لتخبر زوجها بذلك.

- قالت فرحانة: محروس. إلحق آل بـاعتيتنلي دعـوة عشان الحفلة السنوية للنادي..
- رد محروس: حفلة إيه يا وليه يا مهطوله أنتي..
- حفلة وبس يا خويا..
- ربك كبير..
- يا لا يا محروس فِز على حيلك البس واربط العيـال معاك مافيش وقت..
- بجد يا فرحانة..
- بجد يا محروس..
- طيب ما ناخد طشت هديه للي احنا رايحينله.. مـش انتي بتدوري ع الكرامة..
- صح يا محروس.. عين الصح..

***

وصل مسعود في عربة نص نقل إلى بيت محـروس وخرج محروس وفرحانة والطشت والـ ٨ أولاد واندسوا في العربية.. وانطلق بهم.. حيث مصر الجديدة.

في مصر الجديدة وفي إحدى صالات القصر الفسيحة لعادل بيه شديد توسطت سفره طويلة جدا وكانـت خاليـة.. وبدأ الشيفَات والسفرجية في أزيائهم البيضاء يحملون دوائـر السالمون النرويجي.. مع الاستاكوزا وزيت عين الجمـل.. وارفيولي بكبد الأوز والترفل الأسـود.. وصـوص عـيش الغراب.. وحساء القواقـع بالكريمـة.. وصـدور الـديوك التركي.. مع أبـو فـروة.. وكـامبوت التـوت.. وكرنـب بروكسيل.. والكافيار وقلب الفيليه البقري.. وقواقـع سـان جاك.. ورقائق البط.. وصوص كبد الأوز بالهيليون.. وسمك الموسى بالجمبري.. وصوص الرتسـا.. ولحـوم الـديوك الرومي والطاوس.. وبدأ حاملوا الخمور يتقـدمون حـاملين زجاجات الشمبانيا..

كل شيء هنا وارد الخارج..

الأكل فاحش.. القصر من الداخل مـذهل.. الأنـوار الكاشفة في الداخل والخارج.. حدث ولا حرج..

وصل اللاعبون والراقصات، وتوجد مجموعة كبيـرة من المدعويين ذوي لحي..

وبدأ الرقص..

وبدأت اللامبالاة تمرح في أركان القصر..

كان الحاضرون مائة..

***

وصل التاكسي متأخرا بمسعد ومحـروس وفرحانـة وأولادها الذين انطلقوا داخلين ولـم يجـدوا أي صـعوبة. فالطريق سالك والباب مفتوح على مصراعيه..

اندسوا بكل الطرق بين المائة.. لا بد أن يجـدوا لهـم مكانًا تحت الشمس..

قالت فرحانة لمحروس: فين الطشت يا راجل؟

- بره/ خبيته جنب القصر بره وغطيته بقماش عشـان ما ننكشفشي.. ربنا يستر..
- محروس أنا خايفـة لحـد يشـوفنا تبقـى مصـيبة ويجرسونا..
- ما تخافيش، وظل محروس يجري من السفرة إلـى الطشت عشرات المرات دون أن يحس بـه أحـد،

وكان باب القصر مفتوحا على مصـراعيه.. كـان سيقع مرتين ويتكعبل وهو يحمل ما لذ وطاب لـولا أن صاب طوله حتى انتهى من مهمته..

***

فوق سلم حلزوني كان عادل بيه شديد يقف أعلا شرفة قصره في ملابس براقة جذابة وهو يحي بيديه المـدعوين.. وبدأ يهبط من أعلا الشرفة.. ويحيط عادل بيه صحبته مـن النساء والأصدقاء في يده كـأس بـه مشـروب السـانجريا الأسباني.. والنكت تتساب على أذنه من الهوانم وهو يتلـوى ضحكًا.. قدمت له إحدى الهوانم ميكريفونه الخاص بحفـلات قصره.. وألقى كلمه قصيرة قال فيها: (هذه حفلتكم السنوية.. التي حرصت كل عام أن أقيمها مع حفلة رأس السنة في يوم واحد.. أراكم/ وتروني.. منع ا عنكم الحسد والحاسـدين.. وتذكروا دائما.. أن العمل هو السبيل الوحيد للسعادة.. كـل سنة وأنتم طيبون وسنه خير عليكم.. إتفضلوا الأكل)..

أخذ مسعد يد فرحانه أكثر من مرة غارسا إياهـا فـي أنجر رومي لكنها لا تريد.. ونصحها بالأكل فالكل يأكل.. ما عدا فرحانة مندهشة مذهولة.. لا تأكل.. ولكنها تتأمل.. وتقدم

عادل بيه وحامله الميداليات الرمزية تسير بجواره يسلم ويقدم الميداليات لمحبيه وضيوفه..

ولفت نظره هذه الغلبانة فرحانة فتقدمت إليه قبـل أن يتقدم لها ثم همست في إذنه: إسمحلي أبقى أجبلـك طشـت هدية.

ضحك عادل وهو سكران وهمس في أذنها إبعتي

وسألها ما اسمك

قالت له فرحانة..

وظلت تبحث عن زوجها محروس فلم تجده

وعند خروجها وجدت محروس يجر الطشـت المعبـأ بالخيرات في إحدى جوانب القصر..

أوقف مسعد عربية نص نقـل.. وهـرول محـروس بالطشت ووضعوه في العربة.. وأستأذن مسعد منهم.. وعاد داخلاً الحفل.. بينما انطلق محروس وفرحانة بطشطهم والـ ٨ أولاد.

***

وعاد مسعد للحفل الصاخب مراقبا وراصدا ومتأملاً.. السكر والرقص.. وسكر البيه وهات يا نكت تباعا..

وقدموا له ميكرويفون الغناء الخاص به/ ولفت نظـره فرحانة الذي أمسك أذنها فجأة قائلاً: اسمعيني إنتـي عنـدك طشت وأنا معنديش. ارتعشت فرحانة وقالت له مـذعوره.. بكره أجيبلك يا باشا طشت أحسن من دا بكتير ثـم باغتهـا معلقًا وهو يضحك بشدة: عشان أَستحمى فيه والتَـفْ حولـه الجميع ككورس وأجسامهم المربربة تهتز من النكتـة التـي أطلقها عليهم.

بينما وقف مسعد سعيد مشدوها فاتحا بقـه كـالمتوول متسمرا في مكانه بينما هم يضحكون بلا وعي على ما قـال لفرحانة/ جحظت عينا مسعد، وكأنه يشاهد شريطًا سـينمائيا بالألوان الطبيعية لأحد الأفلام الأجنبية/ وتقدمت يد حريمـي تشُر إثارة ويفوح منها رائحة الجنس وهي تمسك الميكريفون لعادل شديد وتضعه أمام بقه وتتحرك معه أينما تحرك وفجأة صاح منتشزا مغنيا..:

اليوم عيد – عيدوا

ويومنا يوم سعيد – اسعدوا

ولتشبعوا أنا أحب الشبعانين..

أنتم حِلل وأنا المغرفه

والقصر هذا قصركم..
لا فرق بين غني هنا.. أو فقير
شرط الدخول
الإنسانية
اللي عنده مشكله أو معضله
والا حِسبه مقندله..
أهلاً به في قصره
أنا أحب أشوفكو مزأططين
مشقلطين
متلعبطين
محفلطين
مزأططين
دفوني.. دفوني
خدوا مني وادوني
أسعدكم.. أبسطِكم
هو دا بيتكو السعيد – هوا دا..
شرط الدخول..
الإنسانية

لا فرق هنا بين غني أو فقير..

فاليوم عيد – عيدوا

ويومنا يوم سعيد – اسعدوا

ولتشبعوا

أنا أحب الشبعانين..

واشتد الرقص حول سعادة البيه عادل شديد أو دخلـوه في وسط حلبة رقص من خلال أيادي المدعوين المتشـابكة الهادي كلاس..

واصطف الخدم يشاهدون البيه المنشكح..

بينما عينا مسعد تتجول في ذهـول فـي الرسـوم.. النجف.. الحوائط.. التحف.. التماثيل.. الهوانم- في الألماظ المألمظ.. بالألاميظ وملبوساتهم الغريبة..

ما كل هذا الشبع المتشبع بالشبع.. تبثت عينـاه علـى السفرة وما تحوي وتمتم: يا سبحان ا .. لم كل هذا الأكـل الوفير.. وأخرج من جيبه قلم وورقة وسرح وسجل بعـض التأملات الشعرية.. ثم وضع الورقة والقلم في جيبـه وهـو يردد ما كتبه.. (خَلّ اهتمامك ناحية وخذ الحياة كما هي)..

لم يستطع مسعد أن يذهب إلى الحمام لغسل يده.. فقـد كان الحمام مليئًا بالسكارى والطرش.. شم يديه.. لم يجد أي منديل كلنكس.. دخل المطبخ وغسل يده.. لم يجـد فوطـة.. مسح يديه في بنطلونه وما زال يتمتع.. أسـتطيع أن أسـجل للتاريخ أنني رأيت بعيني وأكلـت أكـلاً لا يـأتي إلا فـي الأحلام.. تسلل من باب خارجي في القصر (أحس أنه جملة اعتراضية طوال الحفلة) غريب عن الكل الكل منتمٍ.. انسلت خارجا في الظلام.. أحس أنه يريد أن يشم هواء نقيا.. فلقـد لفت نظره لحي الرجال الكثيرة في هذه الحفلة العجيبة..

قال لنفسه: كانت وصية النبي صلى ا   عليـه وسـلم للمسلمين بإطلاق اللحي لكي يختلفوا عن اليهود.. فقد كـان اليهود يحلقون ذقونهم.. والآن يطلقون لحـاهم.. وأصـبحت اللحية الآن موضة.. فـاتحي البخـت ولصـوص توظيـف الأموال.. والإرهابيين.. وبارونات المخدرات..

لم تعد اللحية علامة المسلم. بل أكثر اللحي الآن على وجوه مجرمين، ونراها تتدلى من وجوه مخربين وملحـدين كبار.. واختفى السبب الذي أراد نبينا أن نلتحي من أجله...

فوجئ مسعد سعيد أنه يتصور بالفيديو فـأدار مسـعد ظهره للكاميرا حتى لا يتصـور، ولكـن حامـد المتـرجم والمصور الخاص بعادل شديد اقترب منه وهو منتش وقـال له:

بصورك إديني وشك قال لـه مسـعد: مـش عـاوز أتصور.. ولكن حامد أصـر أن يصـوره محتـدا عليـه/ حصورك.. أوقف ما تتحركش.. بصور..

أدار مسعد ظهره لحامد وهو يصوره مرة ثانية فذهب له حامد في زعل ثائرا..

- متخلنيش أعلي صوتي.. كلـه اتصـور.. اشـمعنى أنت.. اسمك إيه؟..

رد مسعد: مسعد

قال له حامد: كمّلْ..

- كمّلْ..
- مش باين عليك.. قلتلي مسعد.. مسعد إيه؟..
- مسعد سعيد مسعود..
- أمال أنا مش سعيد ليه.. خد صورني.. بـص هنـا وصور.. إشمعنى أنا اللي حاأفضل طـول عمـري

أصور وما أتصورش.. فرصة لقيت واحد يصورني.. صور قبل البيه ما يشوف.. دوس..

وحاول مسعد أن يصور ولا يعرف إن كان صور أم لا..

أخذ حامد من مسعد الكاميرا ووضع يديه على كتف مسعد وقال له: قولي.. إنت بتشتغل إيه؟

- في نادي.. موظف..

قال حامد مداعبا:

- وأنا بانادي عليك.. تشوفلي شغله أحسن فيها إني بني آدم..

- أمال أنت إيه؟

- حيوان.. لو عندك تليفون.. اكتبهولي هنا.. أكتب..

أخرج حامد ورقة وقلم لمسعد الذي لم يكتب..

- أكتب..

- معنديش تليفون

- طب ثانية واحدة أجيبلك تليفون..

وتحرك حامد تجاه التليفون الذي في القصر وأحضره له.. ضحك مسعد.. واكتشف أن الأخ قد سكر

ثم قال له حامد: خد تليفوني أنت خليه معـاك يمكـن تحتاجني أصورك في يوم..

إمسك الورقة والقلم اكتب ٣٤٦٥٣٧٢.. وأنـا حـرد عليك.. بس قول حامد..

كتب مسعد تليفونه ثم قال له.. حا أكلمك.. شم مسـعد يديه فوجدها زفرة ووجد الحمامات كلها مشغولة فوق وتحت والزحام عليها لا يتوقف رغم وجود ٨ حمامات..

***

الأمل هو الكلمة التي وهبها ا لكل البشر.. والغلابـة في حي زينهم. لم يناموا ليلة أمس بل واصلوا الليل بالنهار.. يحيون بالأمل.. أكلوا كل ما في الطشت.. ومن شدة الفـرح بما أكلوا ما زالو يرقصون ويغنون ويزغردون حتى ثـاني يوم.

ولكن ماذا يفعل طشت أكل مع آلاف آخرين يموتـون جوعا ولم ينعموا مع القلة التي انقضت بـلا وعـي علـى الطشت الذي يحوي العجب العجاب من هذه التشكيلة الخيالية من اللحوم التي قد نتخيلها في عقلنا الباطن فقط!!

٧

كان النوم قد سافر من عيني مسعد.. خرج من الحفـل في السادسة صباحا حتى زيـنهم قاصـدا بيـت محـروس وفرحانة وأهل الحي.. واستقل تاكسيا.. وما أن وصل حتـى فوجئ بالرقص والغناء والزغاريد.. فرحانة.. ومحـروس.. وأولادهما يرقصون داخل دايرة كبيرة وحي زينهم في حالة فرح ونشوة..

تقدم لهم.. لم يستطع التحدث مـع أحـد.. بـل ولـم يشاهدوه وظنوه غريبا أو مستشرقًا جاء يشاهد « فولكلـور» شعبي.. حتى أمسك بمحروس وشده من وسط الدايرة ولحقته فرحانة وهي تنهج..

قالت له فرحانة: مالك.. حصل حاجة..

قال لهم: إيه رأيكم لو كلكم توافقوني إن إحنا نقدم طلب لعادل بيه شديد إنه يدينا فضلات أكله.. بدل ما يرميها فـي الزبالة عشان تأكلوها أنتم..؟

ردت فرحانة.. يا ريت..

وجرت فرحانة ونقلت الخبر للصاحيين منهم عشان يقولوا للغايبين.. والنايمين..

فوجئ مسعد بالكل موافقون يرددون.. وهم متجهين نحوه..

قال لهم.. وآدي الطاب مكتوب أهه..

وآدي ختامة.. تعالوا عشان تبصموا..

وعلى كرسي متهالك أخرج الطاب واصطفوا ووضع الجميع بصماتهم، ثم أعطى الطاب لفرحانة وهمس بشيء في أذنها وأعطاها ورقة صغيرة مكتوب فيها عنوان عادل.. واستقل التاكسي الذي كان ينتظره وانصرف..

نامت فرحانة سهرانة.. ولم تذهب للنادي في الغد.. ودخلت وارتدت الترننج سوت.. وما أن رآها زوجها حتى قال: مراتي اتجننت.. أنتي بتشتغلي في سيرك والا في نادي.. بينما فرحانة تضحك على نفسها في هذا الزي اللي مش ماشي معاها..

***

لقد أتينا من أرض واحدة.. ومن طينة واحدة.. ونحن ننمو بالأخذ والعطاء.. مصيرنا مشترك.. متشابك.. فإن لم

يكن ذلك صحيحا.. فالأديان هـراء.. والعلـم فـخ نصـب للإنسان.. من أجل دماره..

***

غدا وفي الثامنة مساء استقلت فرحانة أحد التاكسـيات متوجهة لقصر عادل بيه شديد، وطلبت من سائق التاكسي أن ينتظرها.. وإذا غابت أكثـر، عشـر دقـائق تسـتطيع أن تنصرف.. وعدها بذلك وانتظر ونزلت فرحانة وفـي يـدها طشت فارغ..

وأمام باب القصر.. دقت الجرس.. وفتحت لها إحـدى الشغالات..

- نعم؟
- مش دي برضه فيلا عادل بيه شديد؟.
- أيوه..
- طب بعد إذنك قوليله أنا جيت..
- أنتي مين؟..
- فرحانة.. قوليله بس.. الطشت.. وهو عارف..
- قالت الثانية: بس اسمك مش في كشـف المقـابلات النهارده..

- أكيد ناسي.. دا في الحفلة شدني من دوني وقـالي (هاتيلي طشت عشان أستحمى فيه) قلتله بكره يكون عند سيادتك.. أنا فاكرة بيهزر حتى بالأمـارة كـان سكران.. والطشت أهو يا ست هانم..
- هو قالك كدا..
- يعني أنا كنت أعرف إن البيه عاوز طشت منين؟..
- طب ثانية واحدة.. أقوله..

وأومأت شغالة/١ لشغالة/ ٢ أن تخبر عادل بيه بهـذه المعلومة.. صعدت الشغالة رقم ٢ ونقرت على باب البيه فرد بصوت جهوري.. أُدخل..

دخلت الشغالة توصل الخبر.. فرحانة يا بيه وصلت.. قال عادل شديد.. فرحانة مين..

قالت الشغالة/٢ بتاعة الطشت

قام مفزوعا من فراشه ووقف في أعلا الشرفة كأسـد خرج من عرينه..

وفرحانة كيمامة تقف في صحن القصر.. ثـم عاويـا لها:

وقد نسيت فرحانة أن حذاءها مليء بالطين والزفـت ووسخ السجادة العجمي..

صاح.. مزمجرا.. اقلعي الجزمة الوسخة اللـي أنتـي لابساها دي وأنت بتكلميني..

ردت عليه فرحانة.. جبتلك الطشت..

- طشت!!
- في الحفلة سيادتك سـلمت علـي وحتـى بالأمـارة مسكتني من ودني وقلتلي (اشمعنى أنتي عندك طشت وأنا ما عنديش).. حتى كان في إيدي زلمكة باكملها في الحفلة..
- وعاوزة إيه؟..
- أتفضل الطشت آهو – ولو سمحت بـالمرة تشـوف ورقتي.
- ما هو كان لازم يطلقك..
- محروس مطلقنيش.. أنا مش مطلقة.. بـس شـوف ورقتي دي..
- أخرجت فرحانة الورقة التي أعطاها لها مسعد موقع عليها ببصمات الحي..

- فيها إيه الورقة دي.. أقربها؟!
- ما بعرفش اقرأ.. دا طلب عشـان سـيادتك تـدينا الفضلات بتاعة حضرتك إحنا أولى بيها عشان ناكلها بدل ما تترمي في الزبالة.. بتمر علينا أيام كثيرة ما بنلاقيش أكل لا إحنا ولا عيالنا.. وكثير منا بيموتوا م الجوع كل يوم..
- والفضلات دي شفتيها فين..؟
- ما أنا كنت في الحفلة امبارح..
- ومين قالك إن الفضلات دي بارميها؟!!
- أنا شفت أدام القصر ودلوقتي قول ييجي ٢٠ كـيس زبالة كبار قوي ماليانين فضلات أكلك.. إحنا بيها..
- خدي طشتك يا حيوانة.. وأخرجـي بـرة.. أنتـي بتحسديني ع العز اللي أنا فيه..
- أنا لا سمح ا قلت حاجة غلط.. أنا اسمي فرحانة.. مش حيوانة..
- برة يا جربانة..

- يا بيه ما تشتمنيش أنا لا سمح ا قلت حاجة غلط.. أنا عندي كرامة.. أنا ما طلبتش فلوس وكمـان مـا بشحتش..
- أنا يا بنت القديمة طلبت منك طشت استحمى فيه..
- عيب اللي بتقوله دا خللي عندك كرامة..

صاح عادل بيه ثائرا مهجص.. مهجص.. شوف بنت الكلاب دي..

بكت فرحانة في تأثر.. أنا مش بنت كلـب بتشـتمني ليه؟.. مش كفاية الزمن.. حتبقى أنت والزمن.. أنـت بقـى اللي ابن كلب.. اسمحلي بقى..

أنا برضه عندي كرامة.. دا إحنا ميتـين بـس مـش لاقيين الكفن.. أنت فاكر اللي قدامك دي صاحية.. دا أنت لو زقتني بصباعك حقع.. دا إحنا بنخاف نضحك لنجوع..

- جن جنون عادل ولم يصدق أن هذه المراة الجربوعة تشتمه وترد عليه كمان؟!!
- يا بنت الكلاب يا جربوعة مش كفاية جزمتك وعمايلها في السجادة العجمي.. أنا فيه حد في المنطقة يجـرؤ

ويبص في وشي؟.. ثم صاح: حامد.. شيلوا السجادة دي من أُدامي..

وطرحها عادل أرضا ووضع حذاءه على رأسها بشدة وهي تصرخ.. ثم أشار على مهجص بالباقي..

ومهجص هذا رجل يحوي قوة خرافية لا توصـف.. مريض بالصحة.. شدها من ذراعها وسحبها أرضـا وهـي تصرخ وقد سال الدم من أنفها..

- حتوديني فين.. أنا عندي ٨ عيال.. يا خرابي.. يـا خرابي.. طب خلاص مش عـايزين حاجـة أروح لولادي ولجوزي.. حرام عليك.. يالهوي.. يالهوي..

والدماء تسيل من أنفها كان مهجص ينزل بها في مكان مظلم.. إنها حجرات الحبس في أسفل القصر الخاصة بعادل شديد.. فتح مهجص زنزانة وزقها وأغلق إحكامهـا وقفـل عليها بالقفل وانصرف وهي تصرخ عاوية حتى بح صوتها.

***

إن الذي يظلم يكون عادة رجلاً قاسي القلب.. ليس في قلبه خشية من ا ولا خوف. أما المظلوم فهو عادة يكـون

طيب القلب في قلبه رحمة وإيمان، وهو لا يريد أن يلجأ إلى الشر في مواجهة الشر.. الذي يلقاه.. لأنه يخشى عقاب ا ..

٨

وبنورة هذه امرأة ثرية.. كانت تملك هذه الفيللا التـي تقع في حي مصر الجديدة والتي يملكهـا الآن عـادل بيـه شديد.. تعرف عليها في إحدى الملاهي الليلية وكان يرتـدي أفخم الملابس وأقنعها بأنه مليونير فتقربت منـه فـتح لهـا زجاجة شمبانيا وشربت وعزمته على فيللتها.. وفـي نشـوة السكر الكلام جاب الكلام.. قالت له بنورة البيضة المربربة:

- فلوسي يا عادل فلوسك.. اسمحلي أقولك يا عادل؟..
- قال لها قوليها..

ارتاحت بنورة وأخذت تشرح له قصة حياتهـا كلهـا وتطلعه في هذه الليلة المشئومة على كـل أسـرارها وأنهـا مطلقة وكانت تعيش في الخـارج ولـيس لهـا أولاد.. ودي خزنتي ودي مفاتيحي.. ودي أوراقي.. ودول عقودي.. كـل شيء قالته. فلقد كانت تريد زوجا لها.

وبالفعل تزوجها في الصباح وعاش معها شهورا داخل الفيلا ينعمك بمالها.. وفي إحدى الأيام قالت له.. عادل شوف دكتور كويس وروح اكشف..

- قال لها ما تروحي أنتي..
- قالت له نروح سوا..

ذهبا بالفعل وقال له الدكتور العيب فيك مش في الست ومن يومها خطط لموتها..

- قال لها اتبنى عيل..
- قالت له: وليه ما اخلفش أنا.. أنا لسة عندي خمسة وثلاثين سنة والعادة بتجيني باستمرار. هددها بالقتل لو كررت هذه الجملة ثانية..

وأصبحت بنورة تخافه وتعيش معه مذعورة.. وبنورة هي أيضا مكروهة من أقاربها وعائلتها، فهي تحب نفسها والفلوس وفقط لا يؤنسها سوى مالها فقط..

أحست في خلال الستة شهور أن عادل نصاب.. وأنه ليس بمليونير.. وأرادت أن تتخلص منه دون علمه.. وتشاء الظروف أن يتخلص هو منها بسرعة قبلها ويأخذ كل شيء منها.. وعلق صورتها في فيللته.. وعليها شريط أسود.. بعد أن استبدل عقد زواجها بعقد بيع فيلتها له وزور إمضاءها.. وأصبح مالكها..

***

- عاد محروس مبيض النحاس لمنزله وظـل ينتظـر فرحانة حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليـل ولـم تصل فرحانة.. ترك الأولاد نائمين.. وخرج وهـو يكتم بكاءه في رحلة البحث عنها..

ظل يلهث في أماكن كثيرة ككلاب ضال حتى جف ريقه الذي ظل يبلعه دون جدوى..

الظلام يطويه.. يتوقف ثم يبكي في ألم..

وجد في طريقه عربة نقل كبيرة.. ألح فـي اسـتجداء على سائقها أن يوصله لنقطة البوليس في حي زينهم.. أخـذه السائق الذي تعاطف معه.. وأنزله عند نقطة البوليس..

ودخل محروس مولولاً حتى أن صـوته لـم يسـمعه الضابط..

ظل الضابط يسأله.. مالك..

حتى تمالك نفسه وقال له: مراتي متعودة كل يوم تيجي البيت الساعة ٧ مساء والساعة دلوقت ٢ بعد نص الليل وما جاتش؟..

استدعى الضـابط أمـين الشـرطة لفـتح محضـر لمحروس.. وفي نهاية المحضر بصـم محـروس وأخبـره

الضابط.. إذا حبيت تنام هنا لحد الصبح.. نام.. فلقد تعاطف معه الضابط من شدة إعيائه وإرهاقه.. وأشار الضابط للأمين أن يوصله لمنزله.. وطمأنوه.. لو لقيناها حنجبها لك لحدك.. في البيت.. وركب بجانب أمين الشرطة في عربـة شـرطة وأوصلوه لمنزله..

وعند الوصول لمنزله وقـع علـى الأرض فأمسـكه الأمين وأوصله حتى باب منزله واستقبله أولاده الـ ٨ وهم نيام..

***

كان الصباح ولم تظهر فرحانة ولطم محروس علـى وجهه، وظل يصرخ في الحي مولـولاً: فرحانـة ماتـت.. فرحانة ماتت.. وخرج كل من سمع صراخه من أهل الحـي يواسونه ويبكون والنساء تولول وأطفاله يبكون بشدة.. وأشار عليه أحد الأهالي بدفنها في مدفن قريب منه..

وتنبه محروس فجأة لفكرة طرأت على ذهنه.. حد فيكم يعرف بيت مسعد..

قال له أحد أبنائه في السيدة ساكن عند سينما سـينما.. لما نوصل أنا عارفها بالشبه كدا.. نمرة.. نمـرة.. شـقة..

شقة.. حاول ابنه أن يتذكر ثم قال لوالده تعالوا معايـا وأنـا أقولكم بيته فين..

وضع محروس وبعض الأهلي أنفسهم في عربة كارو ومعهم أحمد ابنه هذا الكبير شوية وانطلقت العربة الكـارو.. داخلة حي السيدة زينب.. وظل أحمد ابن محروس يراقـب المباني وفجأة قال لوالده:

- بس استنى هنا يابا.. البيت أهه..

نزل محروس وأحمد والأهالي وتوجهوا للبيت فوجدوا بالفعل يافطة مكتوب عليها مسعد سعيد.. دقوا الباب كثيرا.. بل حاولوا كسره.. لم يجدوه.. وفي الطريق وجـدوا رجـلاً يعرف القراءة والكتابة فاستسمحوه في ورقة وقلم.. وكتـب لهم ما قاله محروس (فرحانة مرات محروس اختفـت لـو عارف مكانها قولنا للأهميه وشكرا..) وعادوا بالعربة مـن حيث أتوا..

***

فرحانة التي يبحثون عنها في زنزانتها الآن.. سـكن الحزن وجهها وأصبح مشدودا كجلد طبلة.. عيونها مذهولة.. شفتاها تشققت.. ومهجص يقدم لها رغيفًا وصحنًا بـه فـول

وصدغ لفت.. وهي لا تأكل.. ولا تتحـرك مـن مكانهـا.. وأمامها مسقة مية.. قال لها مهجص.. يعني مـش عـايزة تروحي الحمام..

وفرحانة التي نشف وجهها وبقها لا ترد..

ثم قال لها.. قومي معايا يا ولية ع الحمام..

وهي صامتة لا ترد..

طب خلي الجردل دا جنبك يمكن يحصل المراد وأنـا مش هنا.. وخللي جردل المية دا كمان جانبك.. وأغلق عليها بإحكام وانصرف..

***

الظلام حالك.. وبات الليل ساهرا معها صـديقًا فـي وحشتها هذه.. كل شيء انتهى.. وتكومت في حجرها..

رفَعت يدها المتهالكة بعد أن انصرف مهجص لتضـع السماعة على أذنها لتسمع الأغنية.. ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا.. وعشان تكون إنسان جديد.. إنسان سعيد.. لازم تقف ضد الحديد.. تقف كدا وتقول كدا تقف ضد العدا.. ظهرك كدا مسنود كدا/ على دا ودا/ تبقـى شـديد.. تمـلـك

كرامتك.. تملك إرادتك.. وتوقف الحياة كدا مـن جديـد/..
أوعى تقع أو تستكين عشان تكون إنسان متين..

***

في الثامنة مساء في نفس اليوم.. انطلق مسعد مندسـا في تاكسي وهو يرتدي رقبة بلاستيك مـن التـي يرتـديها المصابون في فقرات رقبتهم.. وطار به التاكسي على مصر الجديدة حيث قصر عادل بيه.. فور قراءته الورقة المبرومة التي تركها له محروس داخل القفل، وأمـام بـاب القصـر استجمع مسعد نفسه وعقله ولم نفسه جيـدا وتقـدم تحرسـه العناية الإلهية لكنه ظل يحوم وينظر حتى وقعت عيناه علـى أحد الخدم سأله..

***

- لو سمحت فرحانة بتشتغل فين هنا..
- مش هنا.. فرحانة هناك..
- هناك فين..
- قال له الخادم الغلبان ذو السبعين عامـا.. توعـدني تحلفلي كأني مقلتلكش حاجة.. أصلها صعبانة علي..

هي في الأوضة الثانية هناك حتلاقي خمـس أوض جنب بعض هي في الثانية..

- عرفت أزاي؟..
- ما هو أنا اللي واقف ع الحمام عشان طلباتها..

مفيش مرة طلبت مني إنها تخشه..

- وهي صاحية والا نايمة..؟ يا عم..
- لأ.. نايمة.. اسمى عبده.
- وأوضتها مفتوحة والا مقفولة.. يا عم عبده.
- لأ.. مقفولة..
- تقدر تفتحها؟..
- البيه يقتلني.. إيه اللي معاك دا ولفه في الشنطة دي؟
- كان مسعد يلف وابو ذو لهب حاد.. قال له دا لـبس رياضة وجزمة اللي في الشطنة.
- قال الخادم الغلبان لمسعد.. كلها دقايق ومهجص اللي بيحرسها يطلع فوق عند البيه ساعتها روحلها..
- طيب واعرف ازاي إنه حيطلع؟..
- حتشوفة بنفسك.. بس استخبى هنا..
- معاك سجاير؟..

- مابندخنش.. خد الـ ١٠ جنيه دي باين عليك طيب..
- روح ربنا يعمر بيتك.. ثم بكى الخادم وقال له.. البيه ظالم مالوش حق.. ما بيظلمش إلا الغلابـة.. اللـي زيي وزيك وزي الست المحبوسة الغلبانة دي.. يـا رب فك سجنها يا رب.. وراح الرجـل فـي بكـاء شديد..

هز مسعد كتف الرجل.. وقال له.. بطل عيـاط مـش وقته دلوقتي.. بص عشان تقوللي.. وبينمـا ينظـر الرجـل ناظرا كان مهجص يتقدم من على بعد متجها لهـم.. فقفـز بسرعة مسعد خارج السور..

تقدم مهجص للرجل وقال له: الولية دي من ساعتها ما دخلتش الحمام يا عم عبده وبعدين..

قال له عم عبده.. إحنا مالنا لو عايزة الحمام موجود..

ثم أعطاه مهجص سيجارة أشعلها له.. وصعد متجهـا لعادل بيه داخل القصر..

وما أن اختفى مهجص حتى قفز ثانية مسـعد داخـل السور وتقدم في شجاعة لحجرة فرحانـة المحبوسـة فيهـا وأخرج وابور اللحام.. وسيح رزة القفل.. ففتح الباب.. وشد

فرحانة له بشدة وحملها على ظهره وهي حطام أمـرأة الآن وقفز بها بصعوبة من فوق السور.. وهي تقبض بيديها على الووكمان.. وساعده الرجل الغلبان عم عبده..

حاول أن يوقفها على قدميها.. لم تقو.. سـندها علـى السور الذي يحيط القصر.. وتقدم للشارع يوقـف تاكسـي.. وقال لسائق التاكسي وهو حزين مشيرا على فرحانة:

- أمي بتموت توصلني بس لحد أختها أوديها هناك لحد ما شوفلها دكتور..
- نزل سائق التاكسي معه معاطفًا وحملاها وانطلقا بها حتى بيتها في حي زينهم وما أن رآها محروس حتى صرخ وأغمى عليه.. وصرخ أولادهـا.. بـاكين.. ودخل الأهالي عليهم وأحضـروا بصـلة ونشـادر وأخذوا محروس ليفوقوه..

تقدم مسعد لمحروس وعمل له تنفس صـناعي حتـى عادت له روحه ونفسه من جديد.. وظل محروس ناظرا في ذهول لا يدري أي شيء مما حوله..

***

عاد مسعد بسرعة مذهلة في نفس التاكسي وقد وضـع الراقبة البلاستيك حول رقبته وتقدم من باب قصر عادل شديد وضرب الجرس.. فتح له أحد الشغالين قائلاً: نعم.. قال لـه مسعد: أنا آسف اللي جيت في وقت زي دا.. أصلي رقبتـي تعبانة والبيه قاللي وأنا في الحفلة من يومين: فـوت علـي دلوقتي عشان أشوفلك موضوع رقبتك دي.. فلـو سـمحت قولـله إني جيت..

كان مسعد مسكينًا وهو يطلب هذا الطلب..

حاول شغال آخر أن يقولـله: إنت ما خدتش معاد من البيه وإحنا ما نقدرش نقوله حاجة دلوقتي.. أخـرج مسـعد كارت باسمه وقال له دا تليفوني.. ودا عملي.. ومد يده فـي خمسة جنيهات قدمها لهذا الذي يريد أن يكون حـاجزا بينـه وبين البيه.. وقال له خد دي حاجة كدا على ما قسـم.. ثـم ابتسما لبعض..

كان عادل يسير في الشرفة بينما رأى مسعد هذا فـي صحن القصر كنملة..

صاح: مين دا؟ إنت مين؟ أقلع جزمتك وأنت بتكلمني..

قال له مسـعد.. أنـا مسـعد سـعيد ودي بطـاقتي الشخصية..

أنا آسف إذا كنت جيت متأخر شوية..

قال له عادل: ليه هو فيه معاد.. أنا أعرفك منـين؟.. أنت مين؟.

- في الحفلة سيادتك سلمت علي وقلتلي أبقى فوت علي عشان أشوف حكاية رقبتك دي..
- أنا قلتلك كدا؟..
- كنت سيادتك مبسوط شـوية.. أصـل الموضـوع ببساطة.. أنا جاي بخصوص الفضلات اللي بترميها اسمحلي ناخدها للغلابة اللي بيموتوا م الجـوع كـل يوم.. أنا جاي ورقبتي مش قادر أحركها..
- وأنت مالك ومالهم.. برة.. برة.. يا حيوان.. برة يـا كلاب..
- ماحدش يستقبل حد كدا في بيته يا عادل بيه..
- برة يا ابن الكلاب..
- اسمحلي أقولك أنك برضه زييي ابن كلاب..

وهبط عادل السلالم في عنف وتقدم لمسـعد وكانـت المسافه بينهما متر..

تقدم مهجص وكتف مسعد أفندي كعب الغزال المتمرد حتى ركع على قدميه.. وضغط عادل على ظهره حتى سقط مسعد تماما أمام حذائه وكان وجه مسعد ملتصقًا ببـوز قـدم حذائه.. ثم قال له عادل. إلحس..

لم يصدق مسعد أن في العالم أشياء كهذه.. لكنه الواقع يا مسعد.. إلحس؟!.

تجمد وجه مسعد حتى كاد يحس أنه بلا وجـه.. وأن هذا الجزء من وجهه قد نسيه لأنه سيفقد كرامته بل أصـيب بازدواج في شخصيته وأحس أن رأسه انفصلت عنه وغيـر موجودة..

تقدم مهجص وأخرج بقوة لسان مسعد ليجبره على أن يلحس حذاء سيده..

- وصاح عادل مزمجرا.. لو ما لحس جزمتـي فـي خلال نص دقيقه حا اقطع لسانه..

أخرج مسعد لسانه المرعوب المرتعش الذي يئن وبدأ في لحس حذائه اللميع..

- صاح عادل بهدوء.. إلحس لحد ما قولك بطل..

حاول مسعد أن يريح لسانه.. لكن عادل قدم له الفردة الأخرى. فهي في حاجة للحس أيضا وسحب عـادل حـذاءه الملحوس ثم استدار صاعدا سلالم قصره في نشوة..

***

جمع مسعد نفسه في ألم وهو يـدمع، وقفـز كقطـار غضبان خرج عن القضبان.. ضرب مهجص أولاً في رأسه فسطق مغمى عليه ثم أخذ يضـرب بـلا رحمـة بالرقبـة البلاستيك التي نزعها.. دبت فيه قوة ديزل.. وكـان حامـد يحاول أن يقف بجانبه كي يحميـه مـن ضـربات بعـض الشغالين.. لقد تعاطف معه لإحساسه بأنه مقهور مثله..

وفي لمح البصر كان عادل قد تقدم بعنف تجاه مسـعد الذي ارتطم بفازة غالية الثمن فكسرها وبتمثال كبيـر مـن العاج الغالي جدا أيضا، فكسره من شدة غيظه.. واستطاع أن يقفز من إحدى الشبابيك على ماسوة تسـلقها واختفـى عـن البصر..

بينما صاح عادل.. حامد.. حامد.. وراه ما تسيبوش..

جرى حامد بكل سرعته ليساعد مسعد على الهـرب.. وبالفعل ساعده في النزول من على الماسورة، ثم عاد حامـد لاهثًا لعادل بيه ليخبره.. ما حصلتوش..

وضربه عادل قلما على وجهه هـز صـدغه.. ولـم يتحرك حامد من مكانه بل طأطأ رأسه في ذلة ومهانة..

استل عادل شديد مسدسه وخرج لاهثًا من باب قصره حيث عربته الشيفروليه التي لم يركبها بعد وأخذ وضعه على كرسي القيادة.. واطمأن أن معه بطارية كبيرة تفرش ضوءها على أي بقعة في الظلام وتحركت العربة في بطء وتلصص تبحث بعينيها المضيئتين عن هذا المارق الذي أحدث بلبلة في نظام وترتيب القصر لم يصادفه من قبل.

***

الدركسيون في يده اليمنى.. والبطارية في شماله ترمي نورها فيفرش النور كل ظلام ليضيء المكان.

قال عادل لنفسه: بما أنه لا توجد تاكسيات تسير فـي هذا الوقت لتسعف مسعد على الهروب إذًا هو مختبئ هنـا.. وسوف يظهره الكشاف.. هداه تفكيره لترك هذه المنطقة وأن يسير في أماكن أخرى في محاذاة الشـارع، وعلـى بعـد.

ضرب كشافه فكانت أقدام تقفز من المكان وتجـري علـى الرصيف..

وعندما حاول الخروج بعربته من المكان الـذي كـان فيه، كان مسعد قد اختفى في شارع جانبي.

اقتحم عادل الشارع الجانبي بسرعة، وإن كان قد تأخر قليلاً عن سرعة مسعد.

وأثناء اقتحام عربته للحارة.. كان مسعد سعيد قد بـان جزء من جسمه وهو يحاول تغيير مكانه لمكان آخـر أكثـر أمانًا.. ولكن عادل رآه وقد ترك عربته بسرعة ويده تقـبض على زناد مسدسه وانقض في ظلام حالك على مسعد سعيد.. حاول مسعد أن يفلت منه دون جدوى.. ضرب مسعد بشنطته وجه عادل ولكن عادل هوى بيده كالمرزبة على وجهه جـر عادل شديد مسعد حيث النور، ولكـن مسـعد مـا أن رأى المسدس مصوبا تجاهه حتى انهار، وساقه أمامه وفتح شنطة عربته الأمريكاني ودخل مسعد كفأر مذعور فيهـا وأغلـق بإحكام باب شنطة عربته.. وانطلق به ومسدسه فـي يـده.. وهو يسوق على آخر سرعة.. وما أن وصل إلـى قصـره حتى صاح من الخارج: مهجص.. مهجص.. وفي سـرعة

البرق كان أمامه مهجص.. أشار له بأن يفتح شنطة العربيـة ويخرج هذا الخارج على قانونه.. ويسـوقه مهجـص إلـى الزنزانة التي خرجت منها فرحانة ليتسلم نفس المكان الـذي دخلته، ولأول مرة لا يستطيع مهجـص إغـلاق الزنزانـة عليه.. فماذا حدث؟..

قال مهجص لمسعد.. شوف يا مسعد..

قال له مسعد في إعياء: لو سمحت أشرب شوية ميـه الأول..

أحضر له مهجص جردل ماء وساعده في الشـراب.. ثم أنزل الجردل من يديه المرتعشتين قال له مهجص.. مسعد إسمعني كويس.. دلوقتي ممكن البيه يطب علي ما يلاقـيش فرحانة اللي هربت من ورايا.. ساعتها هي طلقـة واحـدة.. عشان كدا أنا لازم أهرب من هنـا بسـرعة.. وإلا حتقتـل حتقتل.. فيه تاكسي واقف مستني عشان أهرب فيـه لمكـان مافيش جنس مخلوق يعرفه.. وبكدا يبقى أنقذت نفسـي مـن الموت.. وقبل ما أهرب حخدك معايا وأنجيك أنت كمـان م الموت..

وكل واحد يروح لحاله ونعيش أحسن والبـاقي علـى ربنا..

شده مهجص مسرعا قافزين السور وهو يقول لمسعد..

مش عايز حد يتحكم في موتي إلا ربنا..

وقال له مسعد.. ونعم با .. رب ضارة نافعة..

وانطلق التاكسي بهما..

وأذن السائق تستمع مطْرِقَة..

قال مهجص لمسعد: أول مرة في حياتي بعـد خمـس سنين شغل عند اللي ما يتسماش أحـس بالحريـة.. وبـأني إنسان.. عشت طول عمري آلة.. حيوان.. ما كنتش أعرف أن لقمة العيش حتختار لي الشغلانة دي..

- قال له مسعد.. معقول لقمة العيش تخليـك تحـبس وتموت وتضرب..
- تعليمات الكبير.. يقول.. التابع ينفذ.. وإلا ما يلاقيش نفسه شفت فيلم وراء الشمس..
- شفته.

أحس سائق التاكسي بالرعب واهتز الدريكسيون بـين يديه شمالاً ويمينًا.. سائلاً.. البيه مجرم..؟

قال له مسعد مبررا الموقف: البيه بيحكي حدوتة على لسانه قرأها في كتاب..

ثم قال السائق المتوجس.. وحضرتك نازل فين..

قال له مهجص.. دقائق وحينزل مسعد وأنـا حاكمـل معاك..

رد السائق الموروط: أنت اللي حتكمل.. وتكمل معايا أنا ليه؟.. أنا عندي عيال وعايز أربيهم.. أوقفلك تاكسي فـي دقيقة..

رد عليه مهجص: يا عم وا أنا إنسان زييـي زيـك حتى فتشني..

لم السائق أعصابه معلقًا.. مادام حلفت خلاص.. ربنـا يتقبل منك التوبة.. بس لو سمحتوا استهدوا بـا . واقـروا الفاتحة عشان ربنا يهديكم..

وبدأ مهجص ومسعد يقرآن الفاتحة ومعهـم السـائق المذعور..

قال مسعد لمهجص: تيجي معايا..

- معلهش أنت من سكة وأنا من سكة وربنا يتولانا..
- طب تحب تاخذ عنواني..

- لا تشوفني ولا أشوفك ولا تجيب سيرتي في أي حتة لحد بكلمة/ وكأنك ما شفتنيش.. واللي عملته معاك دا بس لأن ضميري رجعلي/.. وإن شاء الله من النهاردة حاتوب..

وقف التاكسي فجأة وقال لهم صاحب التاكسي: اتفضلوا مش عايز أجرة.

نزل الاثنان.. وحاسبا السائق وانطلق بعيدا عنهم لحال سبيله..

احتضن مهجص مسعد بشدة وسالت دموعهما وودعا بعضهما.. سار مهجص في سكة ومسعد في سكة أخرى واختفيا عن الأنظار..

***

في الخامسة صباحا والفجر يؤذن وصلت عربتان من عربات المباحث ونزل منهما أربع ضباط وأربعة من أمناء الشرطة وتوجهوا إلى قصر عادل بيه شديد.. وما أن دق الباب.. حتى فتح عادل بنفسه واستقبلهم في حزن وألم ليروا الفازة المسكورة.. والتمثال الذي صنع من العاج وتم تصوير الموقع وكتابة التقرير..

وعمل محضر سريع..

وصاح عادل فجأة على مهجص.. قائلاً للمباحث أنـا حابس المجرم عندي تحت/ واللي خططتله كمان معاها..

ويجري حامد مسرعا لينادي مهجص وهو يصـيح.. مهجص.. مهجص..

وعاد حامد مسرعا ليخبر عادل بيه بأن مهجص مـش موجود..

هب عادل واقفًا كالمذعور واصـطحب معـه القـوة ليهبطوا تحت ويروا بنفسهم المجرم مسعد سعيد ومسـاعدته فرحانة.. هبطوا لسلاملك.. وكانت الصدمة.. مهجص غيـر موجود.. ومسعد غير موجود.. وفرحانة غيـر موجـودة.. والزنازين مفتوحة..

امتص كبير الضباط الموقف معلقًا..

فين راحوا؟..

رد عادل في ذهول.. أكيد هربوا..

قال الضابط.. الثلاثة؟..

رد عادل.. ومعهم الحارس الخاص بي..

قال له الضابط: اسمه إيه؟..

قال عادل.. مهجص.

أشار كبير الضباط لعادل أن يعطيه بعض البيانات عن الهاربين.. وأعطاه عادل كل البيانات المطلوبـة ثـم وقـع واستأذنت القوة وقال له كبير الضباط..

كلها يوم أو يـومين ويتمسـكوا ويتقـدموا للجنايـات وتواجههم بجرائمهم.. وثق أن كل شيء اتكسر حيتصلح..

شكرهم عادل المذهول وحيـوه وانصـرفوا راكبـين عرباتهم..

بينما سقط عادل في أقرب كرسي في الصالة ودخـل في شرود طويل..

ووقف حامد سعيدا دون أن يظهر شعوره.. فما كـان من عادل إلا أن سحب كرباجا كان يخفيه وراء ستارة وفرقع واحدة على ظهر حامد الذي أخذ يتلوى من شدة اللسعة التي دوت في كل أركان جسمه..

٩

في الحديث القدسي..

يقول رسول ا صلى ا عليه وسلم فيما رواه عـن رب العزة أنه قال:

"يا ابن آدم: جعلت لك قرارا في بطن أمك.. وغطيت وجهك بغشاء لكي لا تنفر من الرحم.. وجعلت وجهك إلـى ظهر أمك.. لئلا تؤذيك رائحة الطعام.. وجعلت لك متكأ على يمينك.. ومتكأ على شمالك..

فأما الذي عن يمينك فهو الكبد.. وأما الذي عن شمالك فهو الطحال..

وعلمتك القيام والجلوس وأنت في بطن أمك..

ولما حان الوقت لإخراجك أَوحيت إلى الملك الموكـل بالأرواح.. فأخرجك على ريشة من جناحه/ لا لك سن يقطع ولا يد تبطش.. ولا قدم تسعى به..

وألقيت محبتك في قلب أبويك..

فلا يأكلان حتى تأكل.. ولا يشـبعان حتـى تشـبع.. وأجريت لك عرقين دقيقين في صدر أمك يجريان لبنًا خالصا

حارا في الشتاء باردا في الصيف.. فلما قـوى ظهـرك.. واشتد أزرك حاربتني يا ابن آدم..

إن رزقك محسوب ما دامت خزائني مملوءة لا تنفـذ فلا تخف من فوات الرزق...

يا ابن آدم لك أن ترضى بما قسمته لـك.. فـإن لـم ترض.. فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا.. تجري فيها جري الوحوش في البرية ولن تنال منا إلا مـا قسـمته لـك وتصبح عندي مذموما مدحورا.."

(صدق رسول ا صلي ا عليم وسلم)

- وتمتمت شفتا مسعد مسعود.. صدق رسول ا ..

ثم أغلق كتاب الأحاديث.. ووضعه بجانبه وأطفأ النور..

وظلت عيناه شاخصتان للباب في انتظار أي خبط..

وفتح الشباك وكان يرتدي ملابسه انتظارا لأي مفاجأة..

وفجأة دق التليفون.. خاف مسعد أن يرد وبدلاً من أن يرد أغلق الشباك وفتح باب شقته هاربا..

وظل التليفون يرن..

والذي لا يعرفه مسعد سعيد أن الذي كان يطلب هـي دعاء زوجته كانت تطلب من سنترال كفر الدوار.

***

وفي اليوم الثاني من الحادثـة.. وقـرب السـاعة ٧ صباحا كانت فرحانة قد هربت من منزلها ومحروس وأولاده ومسعد أيضا.. أين ذهبوا..؟ لا أحد يعلم..

وفي المساء..

بدأ الهروب الكبير.. ها هو مسعد يدخل فـي جـوف الظلام. وكلما تغلغل في المكان الذي يريد أن يختبئ فيـه لا يجد أي مكان يأويه، توقف برهة.. لكي تهدأ أنفاسه/ لكـن الخوف الشديد الذي انتابه جعل حلقه يجف/ حاول استرجاع لعابه كي يجري في حلقه كما كان دون جدوى/ التوقف الآن معناه الموت.. عليك إذا بمواصلة الاختفاء.. أصـبح يـزك برجله.. ودخل حارة مظلمة وجلس على حجر كبير يفكـر.. إنها حلاوة الروح.. وبدأ يسترجع شريط حياته.. خاف مـن الجلوس.. خاف أن تمتد أي يد في الظلام.. وتـنقض عليـه قابضة روحه.. اقتنع وأقنع نفسه أن الجلوس خطأ. إذًا لا بد من المسير.. وبدأ يسير وبدأت الصور تتلاحق أمام عينيـه هاربة.. تذكر قطار البضائع الذي ركبه من كفر الدوار وهو قاصدا لمدينة القاهرة لأول مرة.. وظل نائما فيه حتى أيقظوه

وقالوا له هنا القاهرة آخر محطة.. فنزل.. تذكر دعاء بنـت الجيران الذي تزوجها قبل سفره بعام والذي أرسل لها فـور وصوله القاهرة أول خطاب قال فيه: من أجلك أتيت إلى هنا وأنا الآن أسكن ولي راتب شهري وأعمل في مكان صحي.. والكل هنا يحبوني وليس بيني وبين أحد سوى الحب.. لـن أنسى يا دعاء – رقتك وطيبة قلبك وإياك أن تتركي العمـل في مصنع النسيج.. اعملي يا حبيبتي تكسبي قرشًا حـلالاً.. إنني أعمل من أجل هدف سامٍ وهو الحفاظ علـى زواجنـا وتحسين الحياة.. أنا هنا لا أشرب ولا أدخن وأصلي.. الناس هنا غرباء تحولوا إلى شـكمانات يـدخنون.. عصـبيبون.. متوترون.. مسرعون الكلمات تلغرافية.. الجمـل متلاحقـة مسرعة.. لا أحد يفكر في الآخر إلا إذا كان هناك مصـلحة ملحة.. وأنا لا أنتمي لهؤلاء يا حبيبتي حتى لـو صفصـفت المدينة علي أنا.. فأنا مختلف عنهم في كل شيء.. أنا قنـوع أخشى ا .. وأنا.. يا حبيبتي بعد أن عشت في المدينة هنـا وجدت أن قوة المال هي كل شيء/ ولكني أنا أرى أن قـوة الضمير هي كل شيء.. أنا متمسك بضميري.. أقرأ الجرائد واشتري كتبا ثقافية.. كوني على اتصال بي قريبـا سـوف

يكون عندى تليفون. وتذكري يا دعاء يا حبيبتي.. تذكري أن الفضيلة ليست في أن تتجنبي الرذيلة بل ألا تشتهيها.

***

وعلى مسافة ليست ببعيدة وجد قطارا قديما مهجورا لا يعمل صعده بصعوبة ودخل فيه وتقوقع على نفسه وحاول أن ينام لكنه لم يقدر، وظل مختبئًا وراء حديد القطار في داخلـه ممددا قدميه المتعبتين وركن على الحديـد وسـقطت عينـاه المجهدتين منه.

كان هذا جزء من الشريط الذي استرجعه.

***

يبدو أن خبر الهاربين الثلاثة مهجص وفرحانة ومسعد انتشر في البلد، فها هي فرحانة وفي يدها كلوب ينيـر لهـا الظلام تصعد أحد الأكشاك بصعوبة في حيها زينهم/ محاولة الوصول لأعلى الكشك مستميتة في الصعود تصـعد لاهثـة وهي تنظر خلفها في ذعر.. أخيرا وصلت لأعلـى الكشـك حيث القش الهايش دخلت فيه مـذعورة.. كومـت نفسـها.. وحماها القش.. أطفأت الكلوب.. وشدته بجانبها وكانت يدها الشمال قابضة على صندوق كبريت.. لم تأكـل وخرجـت

هاربة دون علم محروس، ومن يأكل في هذه الليلة الطويلة الرعب؟.. ربما يكون عشاءها أن تقدم نفسها لنفسها عشاء حتى تختفي من هول اللحظة وتستريح وتريح.. وقالت لنفسها..

دلوقت عرفت ليه القطة لما بتخاف على عيالها بتأكلهم.. أيوه لازم تأكلهم، وتذكرت أغنية مسعد والتي حفظتها من كثرة تكرارها في الووكمان وأخذت تتمتم بها ولكن بصعوبة لوجود كلمات ما زالت صعبة عليها في النطق.. ولكن مسعد شرحها لها كثيرا.. لكنها أصبحت الآن تفهمها أكثر.. مرددة في سرها مع الووكمان الذي لا يفارقها..

ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا
وعشان تكون إنسان جديد
إنسان سعيد
لازم تقف ضد الحديد

***

أصل الزمن زمن عنيد
لازم يكون قلبك شديد

***

تقف كدا

وتقول كدا

تقف تقف ضد العدا

ظهرك كدا

مسنود كدا

على دا ودا

تبقى شديد

***

وعشان تكون إنسان جديد

إنسان سعيد

لازم تقف ضد الحديد

***

تملك كرامتك

تملك إرادتك

وتوقف الحياة كدا من جديد

***

أوعى تقع

أو

تستكين

عشان تكون إنسان متين

***

مين اللي قال إن حياتنا دي تبقى حياة

مين اللي قال؟..

مين اللي قالك تقلعه

حط عقلك وازرعه مطرح ما كان

***

عقلك في راسك

تعرف خلاصك

فكر وعلي صوتك علي

***

ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا

ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا

ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا

***

غطت نفسها بالقش كله، وتركـت عينيهـا ورأسـها ورقبتها للعراء، حتى تستطيع أن ترى وتأخذ نفسـها، هكـذا حدثت نفسها.. ثم ترددت وقالت أحسن دخليهم.. لازم الواحد برضه يخللي باله من راسه.. وأدخلت رأسـها وهـي بـين الحياء والموت..

***

وها هو محروس الغلبان المذعور يجري بلا وعـي.. يبدو أنه مهرجان الجري قد بدأ، ولكن توقيته جاء متأخرا في الظلام، في مقالب الزبالة اختفى وعلى مقربـة منـه أولاده يمسكون بأيدي بعض يجرون في ارتطام يقعون.. ثم يقفـون وهو يشدهم وهم يتمسكون به فلا أمان إلا مع أبيهم.. صوابع محروس التي تشد أولاده.. معضمة كلهـا أشـبه بمخالـب الكابوريا.. دخل أولاده في عربة زبالة ودخل هو في عربـة أخرى عربتان متلاصقتان.. حظه حلو أن العربتان فارغتان ولم تعبآن بعد بالزبالة.

وبلغت القلوب الحناجر.. لكنه الخوف يعادل في هـذه اللحظة الموت.. قال لنفسه لو أموت معاكم يا ولادي دلوقتي

وروحنا تطلع كلنا في الدقيقة دي.. يبقى ربنا راضي عنا بس نموت.. وبكى وبكى معه أولاده.

العربتان رغم خوائهما معبأتان بـالروائح الكريهـة.. حاولوا غلق مناخيرهم وأشار عليهم الأب أن تتنفسـوا مـن بقكم افتحوه.. وأوعوا تقفلوه..

صرخ فجأة محـروس لـو الأرض تنشـق وتاخـذ المفتري.. يا رب عفوك ورضاك يا رب..

ما حدش فيكم ينام. اوعي حد ينـام.. أول مـا ديكـو إشارة تنطوا وتجروا كلكم مع بعض وتمسـكوا فـي إيـدين بعض وتجروا معايا.. بصوا حواليكم. إي حد فيكم يشـوف حد يقولي..

كاد محروس أن ينفجر صارخًا.. يا ترى أنتي فين يـا فرحانة؟..

راقب الأولاد أباهم.. وكادوا ينفجرون من البكاء مرة أخرى.

صرخ فيهم محروس بتعيطوا ليه؟ اسكتوا لحد يسمعكم وصرخ هو بأعلى صوته.. اللي عاوزني يجيني ويخلصـني من الموت اللي أنا فيه دا.. هو فيه موت بعد كدا..

ما هو الموت يا عالم إنى ما يبقاش لي كلمة ولا بيـت
وأعيش خايف طول عمرى هوا دا، الموت ربنا مقالش كدا/

والا يعني لازم الموت إن حد يموتني..

ثم انهار باكيا..

وقفز أولاده يواسون الأب قفزوا في عربته.. مسـحوا دموعه وتكوموا على أنفسهم وأخذهم محروس في أحضـانه ضممهم على صدره.. وهبط بهم أسفل العربة.. ونزلوا معه واختبأوا بعدما اكتشف أنه انهار تماما..

هل هدم الإنسان من الداخل هو حل من ضمن حلـول تقدم البشرية، نحو حياة أفضل؟..

***

قرب منتصف الليل انطلقت عربات البوليس في سرعة عجيبة أسرع من العاصفة تطوف أرض الغلابة في هذا الحي زينهم.. بحثًا عن اللصوص الثلاثة الهاربة فرحانة ومسـعد ومهجص خمسون ضابطًا مسلحين ومائتي عسكري شرطة.. وعادل بيه معهم، جالس في مقدمة عربته المرسيدس.. يشاهد هؤلاء المذعورين في حي زينهم يهرولون في ذعر..

العربات البوليسية تتغلغل.. والعسكر يبحثون منقضين على عششهم وحجورهم وأكشاكهم.. كان خـيط الوصـول لهؤلاء الثلاثة الهاربين هـو محـروس زوج فرحانـة، لـم يجدوه..

الحي كله يبدو الآن أشباحا بشرية.. آلاف من الهياكل البشرية كلهم على وشك الموت..

خرجوا من منازلهم ظنوا أن القيامة قامت..

ووصلت عربة بوليس لاهثة تعلن.. مسعد مش موجود في بيته..

ونزل عادل بيه من عربته.. وقال للضابط: اللصوص، يبقوا راحوا فين.. راحوا فين؟ الأرض انشقت وبلعتهم.. تـم إطلاق قنابل الدخان وغطت حي الغلابة.. وكأنهم في جهنم..

وعادت القوة من حيث أتت ومعهم عادل بيه في عربته المرسيدس..

١٠

في الصباح.. وفي حي زينهم.. وأمام منزل فرحانة كان مسعد قد وصل بعد أن أقنع نفسه.. (أنا معملتش حاجة إلا الصح) والليلة فاتت على خير ومحدش مسكني.. طب ما أتشجع وأروح القسم وأقولهم أنا جاي بنفسي أسلم نفسي ليكم بدل الموت اللي أنا فيه دا.. وأقولهم إذا كنت غلطان في اللي عملته، آخذ جزائي.. لأن الهروب ليس هو الحل وإلى متى سأظل هاربا.. وحقولهم إذا كنت صح ساعدوني آخذ حقي..

أما بالنسبة لفرحانة فكل ما فعلته لها هو إنقاذ إنسانة من رجل ظالم فران اسمه سنوسي وأن أعيد لها كرامتها.

فكانت النتيجة أن سجنها عادل شديد ظلما وعدوانًا وهي لا حول لها ولا قوة.

التف أهل الحي حول مسعد وقال له بعضهم: فرحانة ومحروس وولادها هناك أهم، فرحانة فوق الكشك ده ودافسة نفسها في القش.. ومحروس وولاده في صندوقين الزبالة دول..

جرى مسعد وصعد لفرحانة وأنزلها واتجه لمحـروس واولاده وأخرجهم وامتص خوفهم وطمأنهم (وكـذب كذبـة بيضاء) حيث قال لهم أنا قابلت البوليس وكل طلباتهم.. إننـا نروح نحرر محضر باللي حصل.. وإن الطلب الذي تقدمت به بخصوص الفضلات.. سوف ينفـذ ولكـن مـن خـلال البوليس.

قالت فرحانة.. وماله نروح المهم الفضلات توصلنا.. ثم استطرد قائلاً. وأنا قدمت شكوى في عادل شـديد واللـي عمله فينا..

هنا استعادت فرحانة روحها وعرفت أنها مظلومـة.. ثم أضاف لهم مسعد مؤكدا.. أن هناك عدالة وأن القانون في صفنا..

استطاع مسعد أن يقنعهم.. وأشار عليهم أن يذهبوا معه بسرعة الآن قبل أن يصل عادل شديد لمقابلة المـأمور فـي القسم..

بالفعل صدقوه، وبالفعل اندسوا في التاكسي الذي كـان معه وانطلقوا إلى مقر البوليس وهم يرددون.. اللهم لك الحمد

والشكر ظهر الحق/ وكان الناس في حي الغلابة يزغـردون لمسعد البطل المنقذ، وهم يجرون خاف التاكسي يهللون..

***

وقرب وصول التاكسي أمام نقطة زينهم شاهد مسـعد من على بعد عربة عادل شديد الشيفروليه.. بل شاهده يخرج من القسم قاصدا عربته.. في اللحظـة التـي كـان مسـعد ومحروس وفرحانة وأولاده قد تركوا التاكسـي متـوجهين للقسم..

همس مسعد بهدوء في أذنهم قائلاً.. عادل شديد خارج من القسم آهه..

اهربوا.. اهربوا.. خشوا م الشارع دا بسرعة.. خشوا

وهات يا فكيك الهروب والرعب عاد لهم ليروعهم مرة أخرى، وبدأوا يشكون في مسعد..

بل كانت أرجل مسعد كالريح تجري بـه.. مرتطمـة بالناس كفأر مذعور.. تاه في أحد الشوارع ولم نعد نراه..

***

وصل سامي.. الشـقيق الأصـغر لمسـعد ويـدلعوه (بسفروت).. وهو يستقل تاكسي أجرة بيجو ركبه من محطة

القاهرة بعد وصوله في القطار القـادم مـن كفـر الـدوار للقاهرة.. ولقد حضر بناء على طلـب مسـعد سـعيد فـي الأجازة.. ها هو سفروت يجلس مجعوصا في التاكسي.. وقد وضع الهيدفون على أذنيه ويستمع للموسيقى الراقصة ويهـز رأسه، والسواق سعيد به.. فطفل في سـن العاشـرة بهـذا الظرف شيء يفرح.

قال سفروت للسائق الطيب..

- أنت ماشي على مهلك ليه – كدا موديني على فين؟؟
- ميت عقبة..
- رايح لمين في ميت عقبة؟
- يا أخ سفروت سيادتك قلتلي اطلع.
- بس مقلتش ميت عقبة أنا كنت لسة بفكـر وبقـول، النادي أروح ولا البيت.. النادي ولا البيت.. كنـت لسة بافكر..
- وبعدين قلتلي اطلع ميت عقبة..
- ما تضيعش شوية المزيكة اللي في دماغي.. قـولي انت فين دلوقتي؟
- في ميت عقبة

- اطلع على البيت
- فين بقى البيت دا؟
- مكتوب عندك في الورقة اللي أنا مديهالك..

وأنا لو أعرف إن السواقة عندكوا كدا كنـت ركبـت حنطور ثم سألة سؤال.. قوللي أنت عربيتك فيها كام نقلة..

- أربعة..
- طب اطلع على الأربعة..
- إزاي
- هاتهم مع بعض واطلع عليهم مرة واحدة.

ودهش السائق من حواره وأعطى لسـفروت الورقـة التي فيها العنوان.

- قال سفروت - تحب أسوقلك –
- أنت بتسوق يا مفعوص أنت؟
- بقولك إيه يا عم يا سواق.. أنا ضيف فـي القـاهرة عندكم/ خلصني لو سمحت، عاوز ألحق أخويا مسعد سعيد.

ويدخل السائق في شوارع لا يعرفها سفروت وفجـأة قال سفروت للسائق:

أوعى تكون فاكرني عيل.. أنا سـفروت العكـروت، ولعلمك مش ح ديلك فلوس أنت بتوهني وتطول على المسافة عشان أديك فلوس زيادة مش ح أديك.

- باين عليك فنجري بق فيه بينا البنديرة..
- مضبوط تمام فيه بينا البنديرة.
- وماله نكسرها ثاني.
- تخسر معايا:
- لو سمحت أنا معنديش وقت.. البيت في الحتـة دي نمرة ٢٠ شقة ١٢ شارع السد.

أنا بقالي ساعتين بلفت معاك.. أوعى تكون فـاكرني عيل.. أنا بالعب أتاري وكارتيه..

وقرب منزل مسعد سعيد أمسك سفروت بالسائق وهات يا ضرب كاراتيه وشلاليت والناس تحوشـه وهـو ممسـك بتلابيبه.. وأراد السواق أن ينهي الخناقة فقال له:

- أنت بتتخانق معايا والا مع القميص.
- معاك.
- طب ما تسيب القميص كان يوم أسود يوم ما ركبتك.
- أهو هو دا اليوم اللي أسود من سواد وشك.

ساعة بتدور ع البيت، ليه؟ هو البيت الأبيض؟

ضحك الذين يسلكون الخناقة على خفة دم سفروت.

كان مسعد يقترب من منزله وهو لا يصدق ما يـرى، سفروت أخوه وصل وكمان بيتخانق..

جرى مسعد سعيد أكثر وأكثر وقد طرح السائق أرضا دون أن يعرف ما الموضوع.

مالك بيه بتضربه ليه؟

قال السائق: أنا اللي بضربه، دا هـو اللـي هرانـي، حسابه ٢٠ جنيه مش عايز يدفع.

قال له مسعد: من باب الحديد لهنا ٣ جنيه

رد سفروت: بقاله ساعتين بيلف بي عشـان مـا أنـا غريب..

مد مسعد يديه في جيبـه وأخـرج خمسـة جنيهـات وأعطاها للسائق وقال له زق عجلك، شوية ضمير بقـى يـا عالم، يخرب بيوتكم.

قال له السائق.. حسبنا ا ونعم الوكيل، فيـك وفـي أخوك..

ورد عليه مسعد.. يا لا مع السلامة.

ركب سائق التاكسي الكذاب تاكسيه وخرج في الحارة متلكعا بعد أن خسر صفقة توصيل هذا السفروت..

واحتضن مسعد أخاه في سعادة.. ودخـل بـه شـقته وأغلق جيدا ترباس الباب..

قال مسعد لأخيه.. أول مرة تيجـي مصـر تضـرب الراجل؟

قال سفروت: كداب.. من غش أمتى فليس مني.. أنـا درست الحديث دا في الدين..

- ا أكبر ونعم بـا .. وأفرض مالقتنيش؟
- كنت حاستناك على أي قهوة أو أروحلك النادي
- طيب يالا اقلع ونام والا عاوز تلعـب؟.. كلـت ولا مكلتش؟
- معايا بطة وقوانص وشوية كبد بعتهملك دعاء.. أنام الأول وبعدين أكل وأحكيلك.
- طيب يالا غير هدومك ونام عبل ما آخد دش.

بقولك إيه قبل ما تنام لو اتصل بي أي حد تقوله مـش موجود فاهم؟

- فاهم..

غير سفروت ملابسه ونام.. ودخل مسعد الحمام.
أخذ دشه وخرج منتعشًا ثم أمسك بكشـكوله ليسـجل

***

- في جنح الظلام وعلى عربة كارو كبيـرة تسـللت فرحانة الحيرانة مع زوجها المعدم محـروس مـع أولادهم الجعانين هاربين على عربة كارو وقد حملوا عفشهم طشـتين و ٤ حلـل نحـاس و ٥ صـحون بلاستيك وبرامين فخار وكليم وحصيرتين وشماعتين وزير وكرسيين مكسرين ووابور جاز وشـوية رز وعدس وبرنية لفت وقفتين وشوية هدوم وشـومتين وهربودة وكوز.. وقفة بصل وقفة عـيش ناشـف. وظلت العربة تسير من شارع إلى شارع هاربة من شوارع ملتوية لا يعرفها أحد وقد غطـت فرحانـة وجهها بطرحة وغطى محروس وجهه بطاقية/ وخبأ الأولاد وجوههم ودفسوها في القفف حتى لا يتعرف على معالمهم أحد.. وكان الحمار الذي يسـوق قـد أطعم حماره جيدا حتى يتحمل رحلة السفر الطويلـة

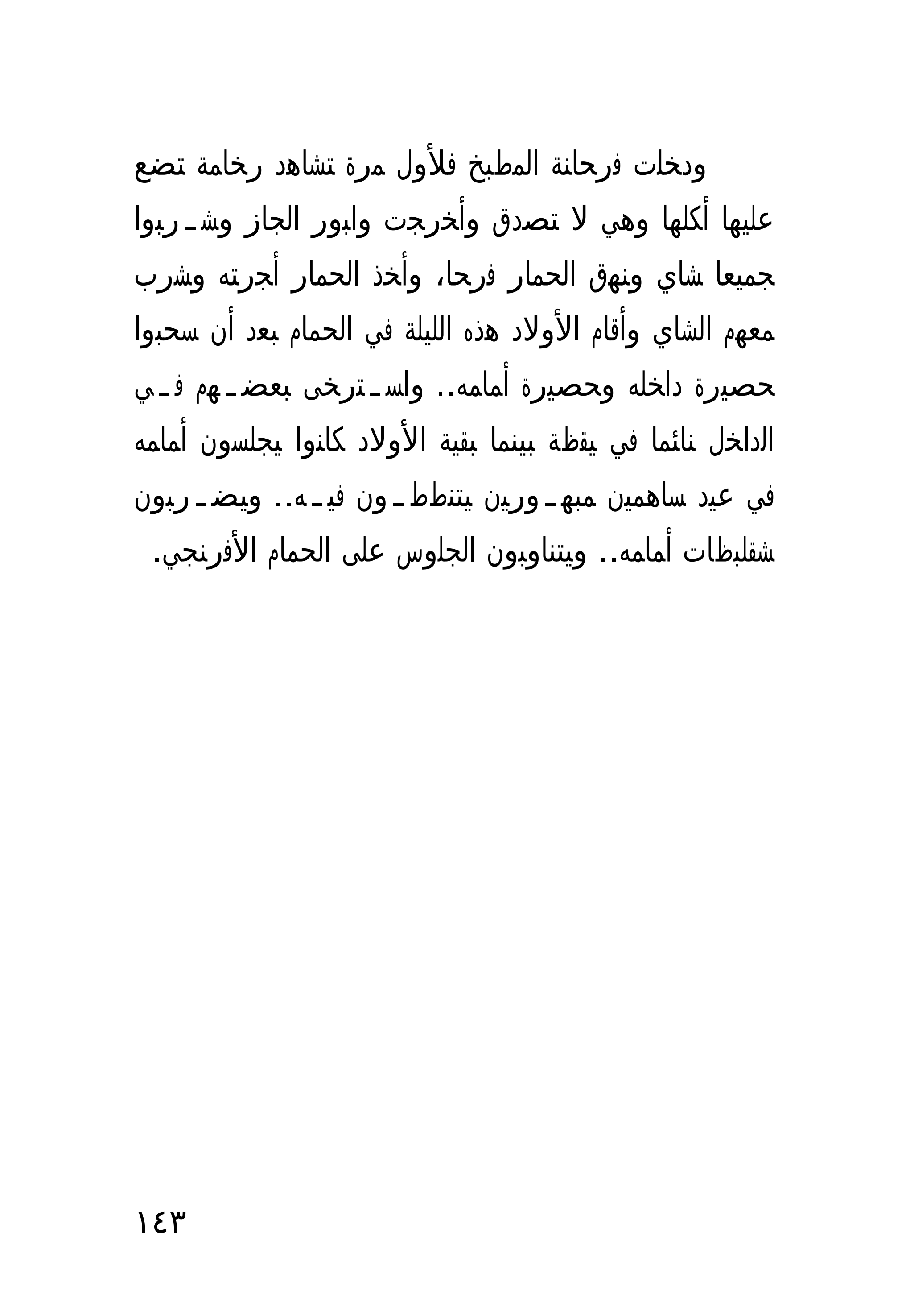
ليلاً في الرطوبة من حي زينهم إلى ميت عقبة، وهذه الحجرة المنقولين إليها قد حجزها مسعد له بالتقسيط المريح ولا يعلم أحد سرها، على أمل أن يعزل فيها ويترك حي السيدة/ شاءت الأقدار أن يعطي لمسـعد المفتاح قبل رحلة الهروب لتعزل فيها أسرته حتـى تختفي عن أعين البوليس إذا داهموا منزلها..

وطول رحلة التعزيل لم يجف لفرحانة دمعـة وهـي تتذكر مسعد المنقذ الذي علمها الكرامة..

وتصل القافلة ويتم التعزيل في الحجرة وهـي عبـارة عن ٤٠ مترا بمنافعها.. بل وتـم فـرش الحجـرة تمامـا بمحتوياتها، وكم كانوا سعداء بأن الحمـام أفرنجـي فظلـوا ساهرين طول الليل يدخلون ويخرجون من الحمـام سـواء قضوا حاجاتهم أم لم يقضوها.

الحمام الذي يحتلفون فيه الآخرون ويبرطعـون كـان بمثابة جنينة الحيوانات بالنسبة لهم..

يتمتعون برؤية كل شيء فيه ويتغزلون في السـيفون، في الشطاف، في الحوض، في الحنفية الفضي، في المواسير، في البلاط الأبيض، في الباب، في الأكر.



ودخلت فرحانة المطبخ فلأول مرة تشاهد رخامة تضع عليها أكلها وهي لا تصدق وأخرجت وابور الجاز وشـربوا جميعا شاي ونهق الحمار فرحا، وأخذ الحمار أجرته وشرب معهم الشاي وأقام الأولاد هذه الليلة في الحمام بعد أن سحبوا حصيرة داخله وحصيرة أمامه.. واسـترخى بعضـهم فـي الداخل نائما في يقظة بينما بقية الأولاد كانوا يجلسون أمامه في عيد ساهمين مبهـورين يتنطـون فيـه.. ويضـربون شقلبظات أمامه.. ويتناوبون الجلوس على الحمام الأفرنجي.

١١

توجه مسعد للنادي يبحث عن فرحانة، لـم يجـدها.. توجه لمنزلها، لم يجدها، بل ولم يجد محروس أيضا.

عاد للنادي مرة أخرى وأراد أن يحكي قصته لواحـد من رواد النادي، كان رتبة كبيرة في الشرطة ودائمـا كـان يقول لمسعد لو عزت مني حاجة، أنا موجود يا مسعد.. أنـا باحب الإنسان المكافح.

قال مسعد لنفسه بس أنا دلوقتي مش عارف فين الصح وفين الغلط.. يالا حاقُولّه بدل التفكير اللي ح يموتني دا.. حا أحكيله بالضبط اللي حصل..

تقدم مسعد لهشام باشا الغمراوي، حياه، واستأذن منـه أن يتحدث معه في موضوع يقلقه، وأنه يطلـب مسـاعدته، وحكى مسعد قضيته وبدأ القصة بدون تركيز لأفكاره قائلاً.. في أوربا بياخدوا الكلاب للكوافير عشان تقـص شـعرها.. وللعيادات النفسية عشان يعالجوها من الاكتئـاب ولـدكاترة التجميل عشان يصغروا مناخيرهم.. وفي أوربا دورات مياه خاصة بالكلاب وحمامات سباحة خاصة بيهم.

وأصحاب الملايين بيكتبوا وصاياهم لكلابهم وبيتركوا ثرواتهم لقططهم.

هذه هي الإنسانية..

علق هشام باشا على كلامـه: هـو إيـه الموضـوع بالضبك؟ قال مسعد: الموضوع أنا اقترحت فكـرة عشـان الجعان ياكل، ورحت لواحد شبعان وتقدمت له بطلب، كـدا ابقى غلطان.

- قلتله إيه في الطلب..
- إنه يدينا الفضلات اللي بتفضل من الأكل بـدل مـا يرميها في الزبالة.. الفضلات دي ح ياكلهـا نـاس بتموت كل يوم م الجوع..

غلطان أنا؟

- قمة الإنسانية..
- شتمني وهزأني وطردني وقاللي يـا ابـن الكلـب، وخلاني ألحس جزمته..
- معقولة..

وتأثر مسعد مسترجعا ما حدث له باكيا.. وا حصل
وراحت له ست غلبانة بتشتغل معايا هنا في النادي تطلب
الفضلات ضربها وحبسها وعورها..

وأنا باهرب كسرت فازة وتمثال عنده من يوميها ما
بشوفش النوم.. وخايف لاموت من الخوف.

- وبعدين؟..
- هربت أنا وفرحانة وجوزها وولادها بقالنا على
الحال دا قول يومين، والبيه الشبعان اللي عذبنا بلغ
عنا وطوق حي زنيهم وبيدوروا علينا، أنا مش
مجرم، أنا إنسان عاوز أبلغ بس مين يسمعني..
ومين يصدقني إذا كنت أنا ولا الست الغلبانة اللي
عندها ٨ عيال..

لما وصلت نقطة شرطة زينهم وختهم معايا عشان نبلغ
شفت عربية عادل شديد قدام القسم وشفناه هو كمان ما
قدرناش نخش القسم وخفنا أكثر وهربنا..

مش عارف أعمل إيه..؟

- معقول حد يعمل كدا فيكم عشان طاب صغير بالشكل
دا..؟

وأنت كمان بالشكل دا بتمنع عنه الصراصير والفيران والناموس لما يرمي الفضلات في الزبالة..

شوف يا مسعد.. روح قول اللـي حصـل بالضـبط وماتخافشي..

- أضمن منين أنهم حيحجزوني أو ينصفوني..

أنا جيت أحكيلك همي / أنا مش جبان.. إنما لو دخلت القسم حاخاف.. لأني ما عنديش ثقة إن حد يقف جنبي..

- خلاص لو القسم مش عاجبك يبقى واجهه أحسـن.. هي دي الفروسية.. وأنا واثق أنك حتنتصر عليه..

- هو شديد قوي ومعاه فتوات ومسدس..

- وأنت معاك إيه عشان تواجهه؟..

- الإيمان با كفاية علي.. لقد ظلمت فتظلمت فاشـتد علي الظلم.. وأنا على استعداد أن أموت في سـبيل كرامتي..

- برفوا – برافو يا مسعد/ حتى لو مت تموت شهيد.. وثق أن هذا الرجل سـيأخذ جـزاءه.. إن آجـلاً أو عاجلاً.. سر على بركة ا وا معك يا مسعد..

***

إذا آمن الإنسان بفكرة صار عبدا لها.

والآن مسعد صار يملك العقيدة وقرأ الفاتحة وسورة يس واستقل تكسيا متجها إلـى مصـر الجديـدة.. وتسـاءل مندهشًا محدثًا نفسه متمتما وسمعه سائق التاكسي وهـو يقول: حسبي ا ونعم الوكيل.

صحا سفروت من نومه.. كان مجهدا من السفر.. نظر في ساعته فوجدها الخامسة قرب الفجر.. خاف أن يكون قـد حدث لأخيه شيء. لأن مسعد قال له: مش ح اتأخر.. طلـب سفروت بوليس النجدة.. ردت عليه النجدة.. قال لهم:

أخويا مسعد سعيد مجاش لحد دلوقتي وهو قاللي مـش حيتأخر..

قالت له النجدة: تليفونك كام.. أعطاهم الرقم وقالوا له لما تعرف فين المكان اللي راحه سـاعتها النجـدة تتحـرك للمكان وتجيبهولك.

قال سفروت: كدا طيب خـلاص حاشـوف المكـان وأكلمكم.. سلامو عليكو..

أخرج سفروت البطة وفسخها وركن الورك على جنب وهات يا أكل فلقد كان جائعا وبدأ بالزلكمة فجأة عاد مسـعد

لشقيقه فوجد أمامه سفروت.. وأخذ منه الورك، الذي يأكلـه وأكله بسرعة وقال له:

أنا حا أوصل مشوار صغير لحـد مصـر الجديـدة، وراجع على طول..

قال له سفروت: أنت لسه مخلصتش مشاويرك.

- يا سفروت هي المشـاوير بـتخاص بكـرة تكبـر وتعرف..
- ما أنا كبير قوللي على أي حاجة وأنا أعملها..
- أي حاجة؟..
- أي حاجة.. وطمأنه أنه طاب النجدة يسأل عليه..
- وادتهم تليفونًا..
- طبعا.. عشان لو لقوك يجيبوك..

وبسرعة طلب مسعد النجدة ثـم أشـار لسـفروت أن يخبرهم أنني قد عدت سالما..

ردت النجدة على سفروت.. الذي بادرها بالإجابة..

أخويا مسعد سعيد وصل بطمنكوا أنه وصل عشان ما تقلقوش وتفضلوا صاحيين..

قالت له النجدة: ما إحنا طول عمرنا صـاحبين.. يـا أستاذ أتشرف بالاسم

- سفروت.. اسمى سامي سعيد..
- ممكن دلوقتي سيادتك تنام.. إحنا اطمنا دلوقتي عليك وعليه..

مع السلامة.

- مع السلامة..

نظر مسعد لأخيه نظرة شبع منه فيهـا، وأيقـن أنـه يستطيع أن يتصرف في غيابه.

ثم قال له: التاكسي واقف برة مش حتأخر.. أخلـص المشوار دا.. وراجع على طول.. وأي حد يسأل عني..

رد سفروت: مش موجود..

ثم قال له مسعد: ودا مفتاح الشقة خليه معاك.. ثم قبله وحضنه كثيرا وخرج ودس نفسه في التاكسي وانطلق قـرب الفجر حيث قصر عادل بيه شديد في مصر الجديدة.

***

وبدأ سفروت يتفرج على شقة أخيه إلـى أن ارتطـم بشوال جزر أصفر.. فتح الثلاجة ولم يجد سوى زجاجـات مياه فارغة وباكو طرشي..

ياه شوال جزر يا أبيه.. طب خللي عندك علبة جبنـة علبة حلاوة مربة لارنج.. أي حاجة تِونس الشوال دا اليتيم..

وعلى مكتب صغير وجد أوراقًـا وكتـب وكراسـة مرسوم عليها قلب وسهم فتحها وقرأ إلى حبيبتي دعاء..

وعلق سفروت على الرسم: ولازم يعني السهم يرشقه كدا جوه القلب.

وبدأ يقرأ.. حبيبتي دعـاء: إزاي أطيـر وأجنحتـي معاكي.. إزاي أطير..

طول عمري مصدقك

وحاَف الدنيا بيكي

والشهد أجيبه ليكي

علق سفروت: اشمعنى أنا جايبلي جزر

حتحس الدنيا بي

قريب وتحس بيكي

وتعود الدنيا ليا

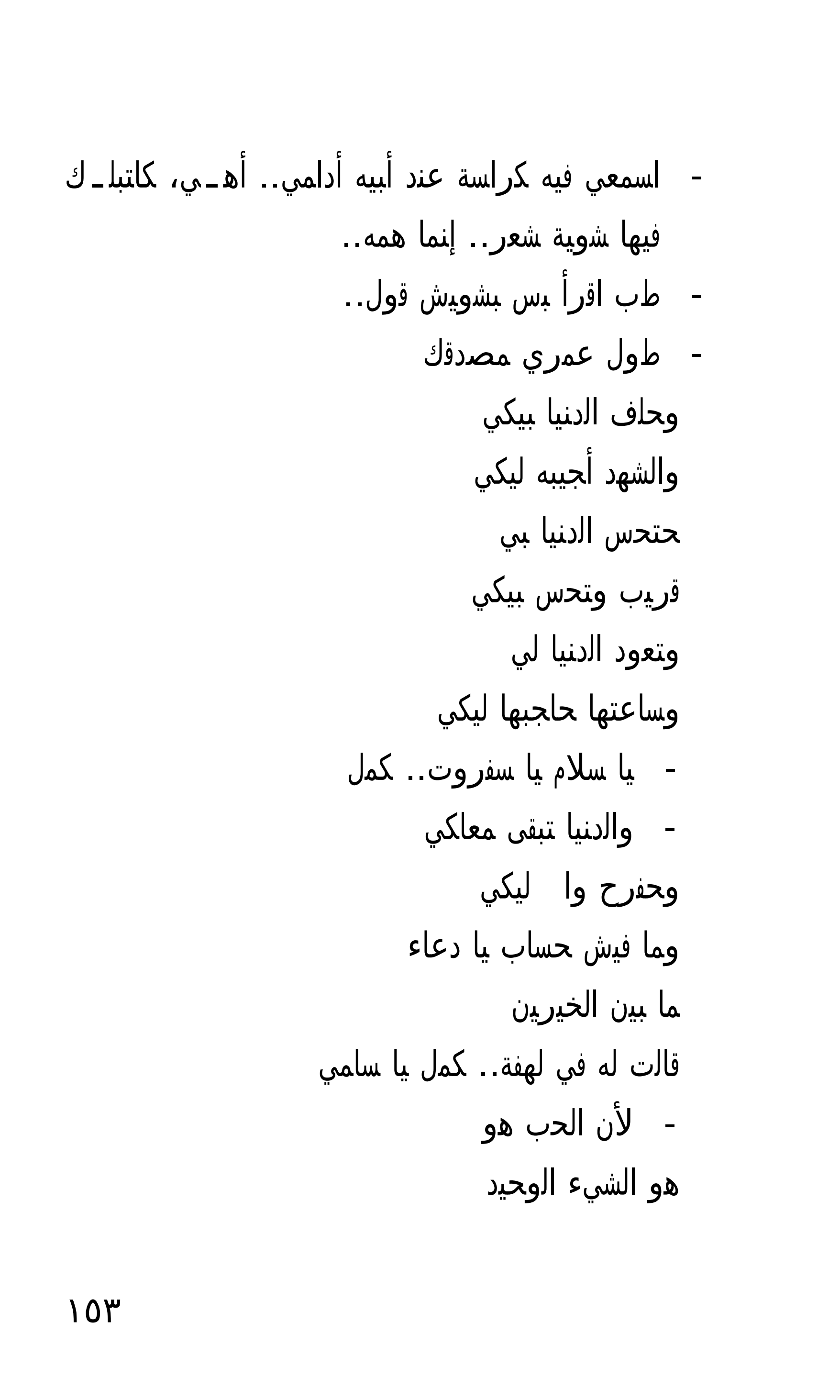
وساعتها حاجبها ليكي

علق على الشعر: يا سلام يا أبيه يا سلام.

***

وفي الفجر كانت دعاء قد صحت تسرح شعرها وتسمع موسيقى حالمة.. وآمالها ماكينة خياطة عصرية.. لّمت نفسها تحت البطانية وسحبت التليفون وأدارت رقما رن التليفون في شقة مسعد سعيد وهرول سفروت له: مين؟

- دعاء..
- أنا السفروت..
- كنت لسة حاطلبك بس راحت علي نومة..
- أبيه راح مشوار وراجع على طول..
- معقولة في الفجر كدا.. أُمال بينام إمتى..
- لسه ما اعرفش.. ليكي على أعرف وأقولك..
- كولمبو: إسمع ما تنساش تظغطه كويس.. وتعرفلي كان فين بالضبط.. أنا باعتاك في بعثة تفتيشية.
- مضبوط تمام..
- المكالمة الجاية.. أحضرلك شوية فوازير وتقوليلي حلها.. خلاص اتفقنا. تصبح على خير..



- اسمعي فيه كراسة عند أبيه أدامي.. أهـي، كاتبلـك فيها شوية شعر.. إنما همه..
- طب اقرأ بس بشويش قول..
- طول عمري مصدقك

وحاف الدنيا بيكي

والشهد أجيبه ليكي

حتحس الدنيا بي

قريب وتحس بيكي

وتعود الدنيا لي

وساعتها حاجبها ليكي

- يا سلام يا سفروت.. كمل
- والدنيا تبقى معاكي

وحفرح وا ليكي

وما فيش حساب يا دعاء

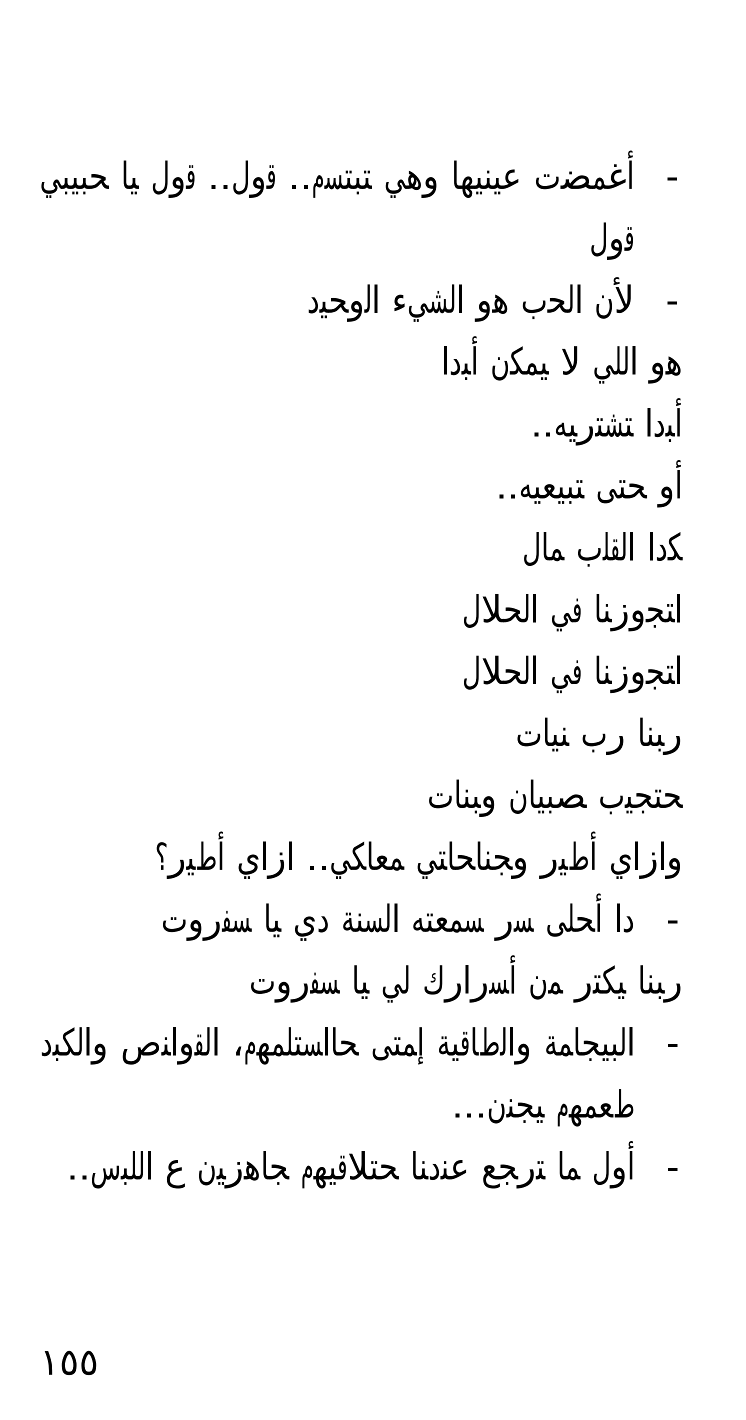
ما بين الخيرين

قالت له في لهفة.. كمل يا سامي

- لأن الحب هو

هو الشيء الوحيد

هو اللي لا يمكن أبدا
أبدا تشتريه..
أو حتى تبيعه..
- قالت في حب: وبعدين يا سفروت
- وفي قلبي حسكنك
كدا كدا القلب مال
اتجوزنا في الحلال
قالت له دعاء: استنى استنى...
ثم قفزت من سريرها ولفت حول نفسها دوايـ ـر دوايـ ـر
وهي تحتضن مخدة وتضمها لصدرها وكأنها تضمه في حب جارف..
- رحتي فين؟
- باعدل المخدة.. كمل.. كمل..
- النية أكيد سليمة
ربنا رب نيات
حنجيب صبيان وبنات
- ا يا مسعد
- دا أنا اللي بقول مش هو



- أغمضت عينيها وهي تبتسم.. قول.. قول يا حبيبي قول
- لأن الحب هو الشيء الوحيد

هو اللي لا يمكن أبدا

أبدا تشتريه..

أو حتى تبيعه..

كدا القلب مال

اتجوزنا في الحلال

اتجوزنا في الحلال

ربنا رب نيات

حتجيب صبيان وبنات

وازاي أطير وجناحاتي معاكي.. ازاي أطير؟

- دا أحلى سر سمعته السنة دي يا سفروت

ربنا يكتر من أسرارك لي يا سفروت

- البيجامة والطاقية إمتى حاستلمهم، القوانص والكبد طعمهم يجنن...
- أول ما ترجع عندنا حتلاقيهم جاهزين ع اللبس..

- بقولك إيه: أوعى تقوله إنك قرتلي اللي كاتبه لحد هو ما يسمعهولي بصوته الجميل..

أسيبك بقى عشان أنام ساعة.. يدوبك والحق الشغل..

كلمة السر..

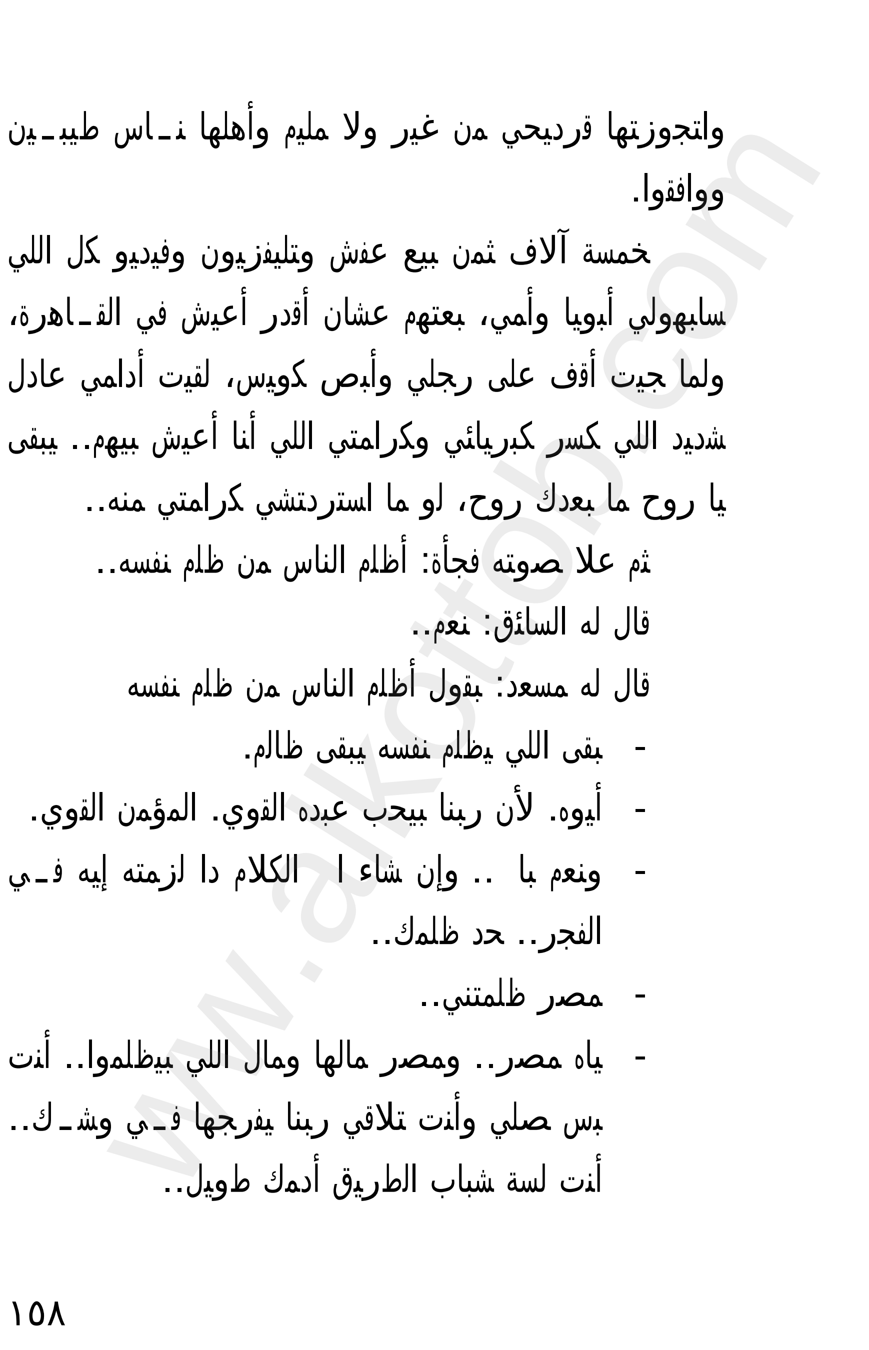
- القوانص والكبد..
- مع السلامة يا قوانص وخللي بالك م الكبد..

١٢

كان مسعد منطلقًا بالتاكسي الذي يتقدم به بشدة وبقـوة قاصدا قصر عادل بيه ذلك الفتوة المفتري والباطجي.. وبينما كان مستغرقًا في قراءة صفحة الحوادث في جريدة الأهـرام وقعت عيناه على خبره..

البوليس يبحث عن موظف يعمل في إحـدى النـوادي الرياضية.. يروع الآمنين اسمه مسعد سعيد ومساعدته إحدى العاملات بالنادي تساعده في السرقة واسمها فرحانة.. قـال لنفسه: ياه أخباري بقت تنكتب في الجرايد ومجرم كمان..

وبدأ شريط حياته يمر أمامه.. دا أنا غلبان يا عالم أمي وأبويا ماتوا في المعدية. كان يوم مرعب في حياتي يوم مـا شفتهم بيبقللوا ويشربوا ميه قدامي ومش عارف أنقذهم كـل اللي قدرت أعمله أني أنقذ أخويا الصغير سامي.. من يومها وأنا حزين حزن مكفيني وماليني واتلخبطت الدنيا في وشـي وسبت كلية الحقوق واتلميت أنا وأخويا في أوضـة وصـالة على أدنا.. ولولا دعاء البيلي بنت الحلال لقيتها في الوقت دا كنت ضعفت أو مت.. سـاعدتني أن أخـرج مـن أزمتـي



واتجوزتها قرديحي من غير ولا مليم وأهلها نـاس طيبـين ووافقوا.

خمسة آلاف ثمن بيع عفش وتليفزيون وفيديو كل اللي سابهولي أبويا وأمي، بعتهم عشان أقدر أعيش في القـاهرة، ولما جيت أقف على رجلي وأبص كويس، لقيت أدامي عادل شديد اللي كسر كبريائي وكرامتي اللي أنا أعيش بيهم.. يبقى يا روح ما بعدك روح، لو ما استردتشي كرامتي منه..

ثم علا صوته فجأة: أظلم الناس من ظلم نفسه..

قال له السائق: نعم..

قال له مسعد: بقول أظلم الناس من ظلم نفسه

- بقى اللي يظلم نفسه يبقى ظالم.
- أيوه. لأن ربنا بيحب عبده القوي. المؤمن القوي.
- ونعم با .. وإن شاء ا الكلام دا لازمته إيه فـي الفجر.. حد ظلمك..
- مصر ظلمتني..
- ياه مصر.. ومصر مالها ومال اللي بيظلموا.. أنت بس صلي وأنت تلاقي ربنا يفرجها فـي وشـك.. أنت لسة شباب الطريق أدمك طويل..

- بصلي ومؤمن با .. بس ليه الناس بقـت تخـاف أوي كده من الظلم.
- لو سمحت مش عايزين كلام في السياسـة خلينـا عايشين..
- أنا مش بتكلم في السياسة.. أنا باتكلم في العدالة.. في الرحمة بالإنسان..

ممكن تقوللي إيه هي مسئولية السلطة بكل مسـتوياتها في ظهور الفساد.. اللي بقى سمة العصر، الآن يتم الاختلاس لذات الاختلاس.. لتكوين الثروة.. وكل واحـد بقـى يقـول لنفسه: ما دام الكبار بيسرقوا/ ليه أنا بقـى أبقـى الشـريف العفيف؟.. ليه ما ابقاش ابن حرام زيهم..

- .... أنت مالك ومال أولاد الحرام.. أنت قلتلي أنك بتصلي؟
- الحمد ، أنا بقول ليه بنسيب الفساد لحد ما يكبـر ويصبح مركز قوى..

الفاسدون في الأرض عندهم من الوسائل ما يمكنهم من شراء الذمم.. وهناك من يشيع عن نفسه أنه مسنود أو قريب من الكبار حتى يخشاه الآخرون، فيشترون سكوته ويتركـون

له الساحة يلعب كما يشاء، بفضل هالة الحماية التـي أحـاط نفسه بها..

قال السائق: أنت رايح فين بالضبط

قال له مسعد: شارع نهرو ورا الميرلاند مصر الجديدة

- طول ما الإنسان موجود الفساد موجـود وربـك يمهل ولا يهمل.. ممكن أعرف.. ليه شباب الأيام دي مستعجلين ليه.. الرزق مكتوب تـروح كـدا تيجي كدا مش حتاخد إلا اللي ربنا قسمهولك..
- أنا زعلان على الناس ليه بقوا يخـافوا حقـوقهم ويسيبوها لغيرهم ياخدوها منهم وبإرادتهم، ليه؟..

الشعب كله عارف إن عندنا أجهـزة عديـدة مهمتهـا واضحة وهي الرقابة وكشف الأخطاء وتسليط الضوء علـى أبطال الفساد.. ولكننا للأسف لا نرى نشاطًا ملحوظـًا لهـذه الأجهزة إلا بعد أن يستفحل الأمر ويصبح على كل لسـان.. وأحيانًا يأتي الرد.. بأننا لا نأخذ الناس بالشبهات.. وننتظـر حتى تتوفر الأدلة لكي تتحرك هذه الأجهزة.. وهـذا خطـأ جسيم لأنه يمكن لهذه الأجهزة أن تتبع أول الخيوط وتملـك القدرة على الوصول إلى المعلومة.. بل والدليل الدامغ ولكنها

دائما ما تنتظر الضوء الأخضر، الـذي يتـأخر أحيانـًا... وأحيانًا لا يظهر..

واندمج مسعد في حديثه، وكأنه يحدث نفسه والسـائق يسمع غمغماته:

نفسى أنام، نفسي أنسى كلي وأغطس في السرير.

وأنا نايم بابقى صاحي، وأنا صاحي بابقى نايم.

بس ليه والنوم جاييني، فجأة/ أصحى وكأن جه تعبان قرصني.

رد عليه السائق: قول يا صبح واذكر ا ..

رد عليه مسعد مستغرقًا: ونعم با . فين الكلام الحلـو راح.. مين اشتراه وبكام يبيع؟

ليه الزبالة اتكومت؟..

الجو مين لوثه.. والكلام مين دنسه؟...

- وليه بس الكلام دا يا بني ع الصبح أنت مفطرتش والا إيه.. عموما أحنا وصلنا..
- إحنا نحمد ربنا على الزمن اللي اتولدنا فيه، بـس برضه زمانا ده فيه إيمان/ وفيـه القـرآن/ ليـه

برجلينا نروح للزمن اللي ما فيهوش حسن ختام..
قريت الخبر دا..

وقدم مسعد الجرنال له فقرأ السائق الصفحة رقـم ١٣ البوليس يبحث عن موظف ومساعدته مسعد وفرحانة..

قال السائق: مالهم دول:

- تعرفهم..
- أعرفهم منين..
- البوليس بيدور عليهم وهم مظلومين ما عملـوش حاجة.. اللي كاتبين عنه دا هـو أنـا العبـد .. وواحدة ست غلبانة مش لاقية تاكـل لا هـي ولا ولادها الـ ٨.
- يا خبر أسود أتفضل أنزل.. أنـزل مـا بـركبش مجرمين أنزل بقولك..
- شوف الخوف بيعمل إيه؟ أقسماك لا أنا ولا هـي مجرمين..

إحنا غلابة بندور على اللقمة الحلال..

وكل دا عشان طلبت من واحد فضلات أكله الزيـادة وعشان ياكلوه الفقرا.. كان دا جزائي..

إنما لو كان فيه بينا رحمة وعدل وتفـاهم وننصـف المظلوم وما نخافش من الظالم.. كنا بقينـا مسـلمين بحـق وحقيق..

رد السائق الخائف – مش عاوز فلوس، بـس سـبني أروح لولادي إذا أعرفك منين..

أخرج مسعد البطاقة فلم يرها السائق فمد يده الأخـرى بـ ١٠ جنيهات قيمة المشوار بينما السائق رفض أخذ الثمن وهو مذعور.. بينما أصر مسعد على إعطائه أجرتـه فهـي حقه والرجل يرفض.. فما كان من مسعد إلا أن دس له الـ ١٠ جنيهات بقوة في جيبه وانصرف نازلاً وكان قصر عادل شديد على بعد أمتار..

***

في الخامسة والنصف صباحا وصل مسعد سعيد لحظة بزوغ الفجر وشقشقة العصافير والسماء صـافية دق بـاب القصر.. لم يرد أحد... دقه مرة أخرى.. ففتحت له إحـدى الشغالات، وما أن رأته حتى صرخت واسـتنجدت بـأخرى خافت وهربت..

استيقظ حامد وكأنه يحلم عندما رأي شبحا أمامه اسمه مسعد سعيد.. حاول حامد أن يفهم ما الذي أتى به إلى هنـا دون أن يتصل به تليفونيا.

فرد مسعد.. صحيه لو سمحت..

- نصحي مين..
- عادل شديد/ ما عنديش وقت ولازم أقوله الحقيقـة عشان أسترد كرامتي أنا مش لاقي نفسي..

من ساعة ما خد مني كرامتي وأنا ميت وكل مستقبلي ضاع.. صحيه لو سمحت.. صحوه.. صحوه.. صحوه..

وصرخ مسعد في جنون.. وعلى هذا الصوت الذي هو أقرب للرعد خرج عادل شديد كالزلزال وكان يرتدي فانلـة وشورت فاتحا باب حجرته قافزا للشرفة ناظرا من عليائـه إلى أسفل فاصطدمت عيناه بهذا المجنـون الـذي يصـرخ وبسرعة دخل حجرته ووضع مسدسه في جيبـه.. وبهـدوء نزل السلالم.. ووقف الاثنان في منتصف الصالة في مواجهة يجف فيها الحلق ولا يجد لُعابا من هول اللحظة وفي صوت يشبه الرجفة الكهربائية.

صاح مسعد: أنا مش مجرم علشان ألاقي اسمي في الصفحة رقم ١٣ في الحوادث مع المجرمين..

يا عادل بيه ربنا لما خلقنا، خلق الغني والفقير وكل واحد منهم له دوره في الحياة..

رسالة الأغنياء هي مراعاة حقوق الفقراء.. وإعطائهم من مال ا الذي أعطاهم إياه، ويجب على الأغنياء ألاّ يظنوا أن جمع المال وكنزه هو السعادة.

فالفقراء في أكواخهم وخيامهم قد يكونون أكثر سعادة.. إنهم دائما مع ا يرفعون أيديهم للسماء يسألون خالق الشمس والقمر ومرسل المياه ومنزل المطر أن يرزقهم..

لا تظن أن الفقر عار، ولكن العار حقًا أن تكسل عن العمل وتمد يدك.. فأغلب عظماء العالم كانوا فقراء، والحاجة وحدها هي التي جعلتهم يتغلبون على فقرهم..

القوة بدون عدالة تبقى طغيان.. عشان كده لازم العدالة والقوة يبقوا مع بعض.. أنا جتلك عشان تعفو عني بعد ما هربت..

فالرحمة مطلوبة.. والعفو عند المقدرة.. لأني أعول نفسي وأخي وتنتظرني دعاء زوجتي وهي حامل..

وأنا لم أخطئ عندما طلبت الفضلات بدلاً من رميهـا في الزبالة لم أخطئ.. ولا أستحق منك كل ذلك..

والآن أريد كرامتي التـي أخـذتها منـي.. أعطينـي كرامتي.. أعطيني كرامتي..

وعوى صوته وعلا حتى بح منه ولم يعد له صوت..

أحست الشغالات بالرثاء لمسعد. بل والعطـف عليـه وأوشكن على البكاء وفرت دمعة من عين حامد فلقد وجد فيه نفسه...

ومن وراء ستار يحوي حقدا وغلا استل عادل الكرباج وهوى به على ذراع مسعد وحاول مسعد أن يدفع عن نفسـه دفاع المستميت ليسترد كرامته بأي شكل.. ودخلا في معركة شرسة لا ترحم وصحا كل الشغالين والشغالات يصـرخون، وحاول حامد أن يبعدهم بكل الطرق عـن الاشـتراك فـي المعركة بينما مسعد يصرخ.. أوعى تكون فاكر إن شنبك دا مقياس للرجولة.. لأ.. لأ.. لو كان الشنب مقياس للرجولـة لكان الصرصار سيد الرجال.

شد مسعد الكرباج خلسة من عادل شديد وأعطى عادل شديد درسا قاسيا بالكرباج حتى خرت الدماء من وجهه ويده

ولوى مسعد ذراعه بعنف وطرحه على كرسـي، فـارتطم عموده الفقري فيه، وأخرج مسدسه الغادر بصـعوبة وهـو يصرخ ألما.. بينما قفز مسعد مـن شـباك خـارجي علـى ماسورة في المنور وهو يصرخ.. حاول عـادل أن يضـغط على الزناد بكلتا يديه لكن يده اليمنى خانته فلقد كانت تشـاب دما من شدة سحبة الكرباج منها وسقط المسـدس وخـارت قواه..

١٣

في الصباح الباكر وفي السابعة صباحا.. لـم تـتمكن دعاء من النوم، لأن القلق والشك استبدا بهـا، أيـن ذهـب مسعد؟ هل هو على صلة بفتاة أخرى؟، هل غيرته القاهرة؟.. لا بد أن في الموضوع شيئًا خفيا لا تعلمه.. قالت لوالـدتها، إيه رأيك يا ماما لو أطب عليه فجأة وأسافر له، أحسن يكون لقى واحدة غيري؟..

قالت الأم: قومي صلي أحسن وبطلي الأفكار السـودة دي، مسعد طول عمره أصيل..

قالت دعاء: دا حتى ما رفعـش السـماعة قـاللي أي حاجة. حتى صباح الخير، أي كلمة منه تهديني وتطمنـي.. يسأل حتى على اللي في بطني.. لأ لازم أسافر له يا ماما..

قال لها والدها: ما تخـافيش عليـه، أكيـد مشـغول وبيحاول لم القرشين عشان الزمن والأيام الجاية.. فسـاعديه واصبرى وما تعملاوش قلق.. ثم من إمتـى إحنـا بنـروح مصر.

يالا قومي صلي وافطري وشوفي شغلك..

كلمي سامي أكيد عارف أخوه فين/ كلميه..

قالت له دعاء: يا بابا دي ثالث مكالمة النهارده.

طمأنتها الأم: خدي معلقة العسل دي افتحي بقك عشان تهدي شوية.. وآدي التليفون يالا أطلبيه.. يمكن نايم.. ولـو في سابع نومة حيكلمك هو مش بيحبك. خلاص.. اللي بيحب ما بينمش.. أطلبيه.

احتضنت دعاء التليفون واتصلت. كان سامي يتفـرج على برنامج صباح الخير يا مصر وهو قاعد يفكر حتى رن التليفون فاتنطر سامي من السرير.. مين؟

- دعاء – مسعد فين؟
- لسه مجاش
- من امبارح
- أيوه من امبارح
- هو فين.. حد غيري في حياته يا سامي؟
- معقولة يا أبلة وا ما جه وما نمتش لحد دلـوقتي ومستنيه.

وكمان تعبت من أكل الجزر وحاسـس إنـي حـابقى أرنب.

- مش وقت هزار.. زعلانة منك وما فيش بعد كـدا لا قوانص ولا كبد، إزاي ما تسألش على أخوك.
- شغله كدا.. وبعدين مين فينا اللي يسأل.. الصغير ولا الكبير.
- أنا قلقانة عليه طب ما تروح تشوفه..
- أروحله الشغل.. يعني..
- أيوه مش العنوان معاك روحلـه، أطمـن علـى أخوك..
- صح، حروحله.
- وقوله أنا بقيت أحلى من الأول، وحوشـت ألـف جنيه، واشتريت أوضة نوم.. وقوله الأيام الجايـة أحلى م اللي فاتت.. وأنا صابرة لأن هو علمنـي الصبر – وكان دايما يقولي.. إنتي كنز من كنـوز الجنة.. لإنك امرأة صالحة..
- يا بختك عندك تليفون فوري.
- إبقى خليه بس يتصل عشان أديله الألف جنيـه.. اللي محوشاهم.. لو سمحت..

- حاضر. خلاص ح اروحله.. واتصلي بكرة زي دلوقتي.. ولو لقيته في النادي ح خليه يتصل بيكي فورا، مع السلامة يا أوانص..

ووضعت دعاء البيلي السماعة في زعل وسرحت..

أغلق سامي سعيد باب الشقة جيدا ثم خرج وأشار لتاكسي فتوقف وركب ثم قال للسائق: لو سمحت نادي الزمالك ووضع الهيدفون على أذنيه ليستمع للموسيقي التي يحبها وهو يتفقد بعينيه شوارع القاهرة، في تأمل شديد، فهو يراها الآن وفي الصباح ولأول مرة في حياته وهو يهز رأسه.

قال له السائق: أنت أول مرة تروح المهندسين..

رد سفروت: قول أول مرة أجي مصر.. وأول مرة أخرج من البيت..

- في مدرسة إيه هنا..

- أنا من كفر الدوار مدرستي في البحيرة مش هنا، أنا جاي في الأجازة، زيارة.. مسعد أخويا أصله شغال في النادي.

- ابقى قوله يشوفلنا كارنيه جدعنة نخش بيه النادي.. وخللي البونديرة المرة دي علينا...
- حقوله يشوفلك كارنيه، ويشوفلي أنا كمان بس أنـا حشوفك فين؟..
- أنا بقعد هنا في المطعم دا اللي لازق في النـادي باريح شوية العصرية، أشيش واتكل على ا ..

شكره سامي ولم يأخذ الراجل منه أي نقود وأمام باب النادي وسامي منطلق في الدخول..

قال له الحارس: نعم..

رد عليه سامي: أنا سفروت.. صباح الخير.. أنا أخـو مسعد سعيد..

- مسعد من أمبارح مجاش النادي..
- ألاقيه فين طيب..
- عند فرحانة..
- مين فرحانة دي
- اللي بتنضف هنا وماسكة أوض المدمزيلات اللـي بيتمرنوا في النادي..
- طب ما تتصل بيها..

- ما عندهاش تليفون.
- طب أديني عنوانها. أصل – دعاء مرات أخويا – عايزاه ضروري ضروري، ودلوقتي..
- واتجه الحارس لدفتر العناوين وظل يبحـث عـن عنوانها حتى وجده وكتبه له في ورقـة وأعطـاه لسفروت.. شكره سفروت، ثم قال للحـارس، لـو ركبت من هنا لحد بيتها تاكسي/ أدفع كام.
- ٢ جنيه..

شكره سفروت ومد يـده فـي ١٠ صـاغ وادهالـه وانصرف.

***

بدأت رحلة الشقاء والحب، وانطلق التاكسي بسـفروت قاصدا ميت عقبة، ودخل التاكسي به حي ميت عقبة، وساعده سائق التاكسي حتى عثر سفروت على العنوان..

وتقدم سفروت الحائر تجاه رجل حالك السواد إنه عـم محروس زوج فرحانة الغلبانة..

قال له محروس: نعم، عرفه سفروت على نفسه وأنـه شقيق مسعد سعيد، وسأل عن فرحانة فوجد فرحانة الحزينـة

تتقدم له تخبره عن مكانه، قالت له مسعد عند عادل شديد لو خطفت رجلك لحده حتلاقيه.. قوللي تليفون الأستاذ كام، وأعطاها رقم تليفون مسعد أخوه، وأعطته هي عنوان عادل شديد وكتبه سامي السفروت في ورقة جرنال قديم، كومها سفروت في جيبه وقبل أن ينطلق سفروت قالت له فرحانة وصية، اسمع: أخوك إنسان طيب وأمير، إنما اللي أنت رايحله ما تتكلمش معاه كتير، وأوعى تقوله إنك شفتني أو تعرف مكاني، أصله عاوزني أشتغل عنده، في بيته، وأنا مش عايزة، وجوزي كمان ما بيحبوش، احلفلي على المصحف دا ما أنت جايب سيرتي، ولا مكاني، وحلف سفروت على المصحف، ثم قال لها من هنا لحد مصر الجديدة ولحد العنوان دا حدفع كام، قالت له ستة جنيه..

- معايا معايا الستة جنيه.
- وحضرتك بتشتغلي معاه..
- هو اللي شغلني.. ربنا يحميه سلملي عليه قوي، وقوله محروس وفرحانة عايزينك ضروري.. ضروري...

- ابقي اتصلي بي بالليل حكون في البيت أقولك عملت إيه..

خرج سفروت يسير في شارع غير مرصوف.. كله مطبات وعلى جنباته بعثرت الزبالة ويا لهول ما رأى.. الشقق أمام بعضها وعرض الشارع مترين فقط..

قال لنفسه وهو يسير لو وقفت في بلكونة فرحانة اللي هي متر × متر مديت إيدي لبلكونة الشقة اللي قدامها إيدي تجيب الغسيل اللي ع الحبل...

ارتطمت قدمه في حجر وكاد يقع وهو سرحان..

خرج من القذارة لشارع شبه نظيف وشاور لتاكسي ودس نفسه فيه، ولم يضع الهيدفون على أذنيه وأعطى السائق العنوان.. وابتسم السائق وانطلق به خارجا من ميت عقبة إلى وسط المدينة إلى الكباري حيث الشوارع النظيفة.. وعينا سفروت تتأمل الجمال ثم قال للسائق:

مصر الجديدة/ دي جديدة.

- دي من زمان أوي بس ناسها حلوين قوي يعجبوك آخر روقان.. لما توصل حتعرف..

- تعرف عادل شديد

- آه دا المكوجي اللي على أول الشارع..
- قاطعه سفروت عادل شـديد اللـي أنـا رايحلـه مكوجي؟
- لا ما أعرفش، أنا سهى علي تشابه أسماء أصـلي في حارتنا مكوجي اسمه عادل ثم قال له سفروت معلهش اسمحلي أنا حنام شوية لحـد مـا بيجـي العنوان صحيني أصلي ما نمتش من امبارح.
- طب قبل ما تنام نعمل إيه.. نشرب اللبن..

وضحك سفروت وراح في نوم عميق.. بـل وانثنـت عنقه على صدره طوال الرحلة مرات ومرات.. ومن علـى بعد بدأت معالم القصر المنيع تتضح وفيه تحيا زبالة بشـرية اسمها عادل شديد، وها هو الطفل البـريء سـامي سـعيد السفروت قد استيقظ في هـذه اللحظـة فلقـد وصـل ودق الجرس..

استقبله حامد، وعرف أنه شقيق المرحوم مسعد سعيد، ونظر له نظرة حانية فيها شفقة وحب وحاول أن يضـاحكه فقال له أتشرف بالاسم ثاني فقال له سامي سعيد، قـال لـه

حامد معاك بطاقة رد عليه سفروت: حشيل بطاقة أزاي وأنا عيل..

خرج عادل شديد من حجرته يسير في ألم وعلى غير المعتاد.. وأصبحت قدماه ثقيلة في المشي..

وقف في الشرفة يتأمل صحن القصر حتى شاهد هـذا الطفل الجميل..

قال له سفروت أنا سامي..

نزل عادل السلالم ببطء حتى وصل إلى صحن قصره وكان وجها لوجه مع السفروت.

قال له سامي أنا أخو مسعد سعيد.

استفسر عادل شديد من سامي سعيد من الذي أرسلك، هل أرسلك مسعد سعيد

- ازاي وأنا بدور عليه..
- وعرفت إزاي إنه هنا..
- رحلته النادي ملقتهوش – ناس في النادي قـالولي يمكن في العنوان دا.. وبس..

- مسعد سعيد كان هنا لحد امبارح وكان لازم أبعته يخلصلي شوية شغل في رومانيا، ومسـافر لمـدة سبعة أيام، لو كنت جيت امبارح كنت شفته..

- أصله ماقليش أنه مسافر، وأنـا جايلـه زيـارة، وفلوسي خلصت وما فيش أكل في البيت إلا جزر، وما أدنيش فلوس الرجوع عشان أرجع.. كان لازم يقوللي قبل ما يسافر بدل ما يورطني كدا، ويخليني عمال أدور عليه في كل حتة..

قال له عادل مبتسما: ولا تزعل يا سمسم استناه هنـا السبع تيام لحد ما يرجع بالسلامة، ولا تزعل وصاح عـادل على حامد..

وجاء حامد مذعنًا ووقف يتلقى الأوامر

- قال عادل شديد لسامي سعيد ما نفسكش في حاجة أجبهالك

حاجة تتسلى فيها.

- سندوتش لحمة..

- اطيف يا عكروت..

- بيد لعوني بيقولولي يا سفروت..

- قصدي لعبة تلعب بيها/ تضيع فيها وقتك.. تتسلى يعني..
- عندي أتاري فيه ميت لعبة..
- وغير الأتاري..
- كان نفسي في كمبيوتر بس أبـي وعـدني بيـه الأجازة الجاية لما أنجح..
- نجيب كمبيوتر عشان سفروت باشا يلعب بيه..

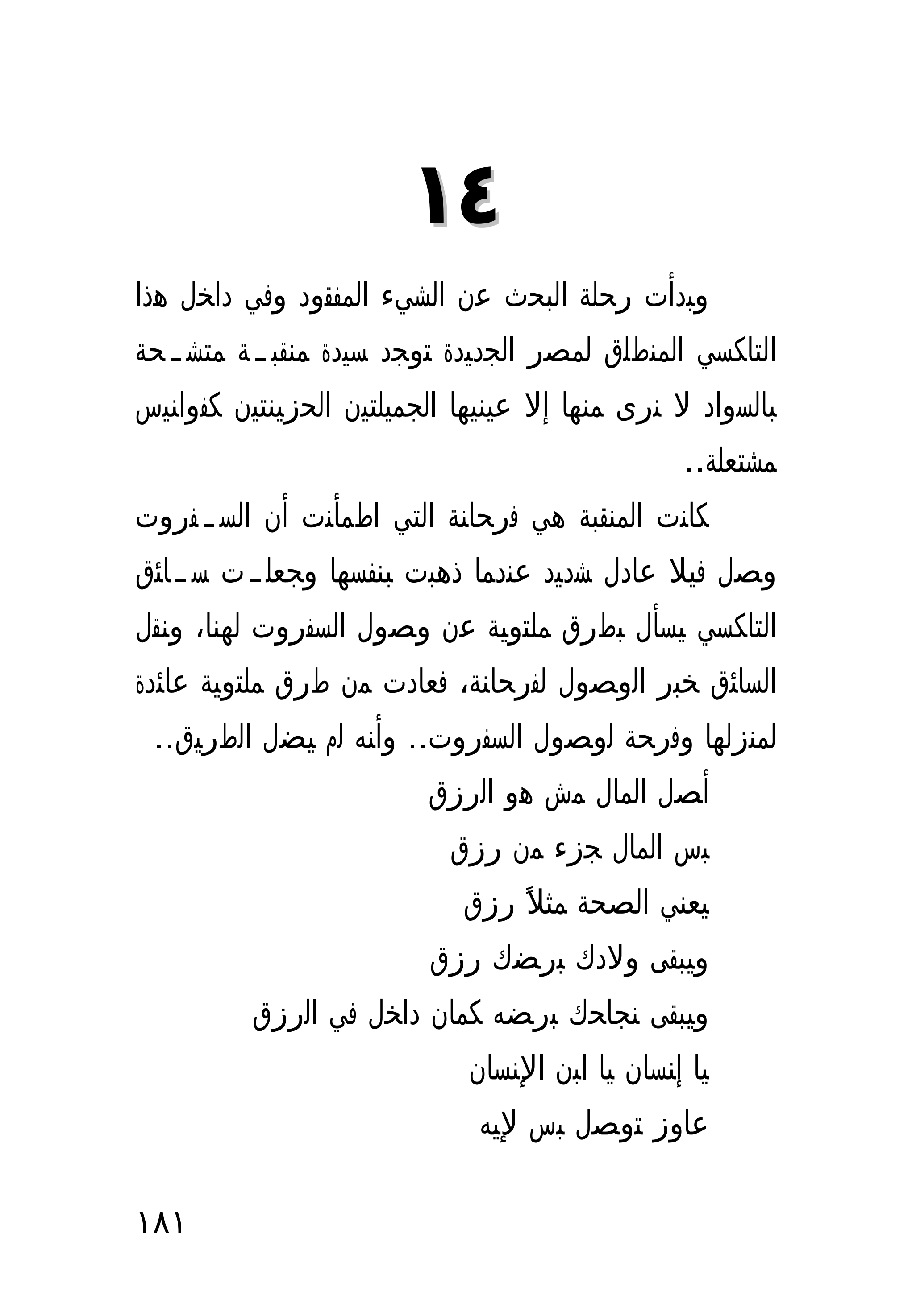
ورمق عادل حامد نظرة كالبرق على إثرهـا تحـرك حامد آخذًا سفروت من يده وأجلسه في شرفة جميلـة تطـل على أجمل أماكن مصر الجديدة، واستنشق سـفروت هـواء نقيا، لم يستنشقه من قبل، بل ولم ير هذه المناظر والعمارات الفخمة الطويلة، المختلفة الألوان، والتي تخرج الموسيقى من شبابيكها، وقف في الشرفة ينتظر سندوتش اللحمـة، وهـو يصفر سعيدا بهذه النقلة الكبيرة في حياته وفي هذا القصـر المنيف الذي نزل عليه ضيفًا.

***

إن كل فرد منا أثناء ممارسته للفعـل – لهـو أشـبه بالسجين الذي يحطم سلاسله أو الحشرة التـي تخـرج مـن



شرنقتها.. وأما قبل الفعل فإن الإنسان يشعر بأن لديه إمكانية خالصة لا يعرف مداها.



١٤

وبدأت رحلة البحث عن الشيء المفقود وفي داخل هذا التاكسي المنطلق لمصر الجديدة توجد سيدة منقبـة متشـحة بالسواد لا نرى منها إلا عينيها الجميلتين الحزينتين كفوانيس مشتعلة..

كانت المنقبة هي فرحانة التي اطمأنت أن السـفروت وصل فيلا عادل شديد عندما ذهبت بنفسها وجعلـت سـائق التاكسي يسأل بطرق ملتوية عن وصول السفروت لهنا، ونقل السائق خبر الوصول لفرحانة، فعادت من طرق ملتوية عائدة لمنزلها وفرحة لوصول السفروت.. وأنه لم يضل الطريق..

أصل المال مش هو الرزق

بس المال جزء من رزق

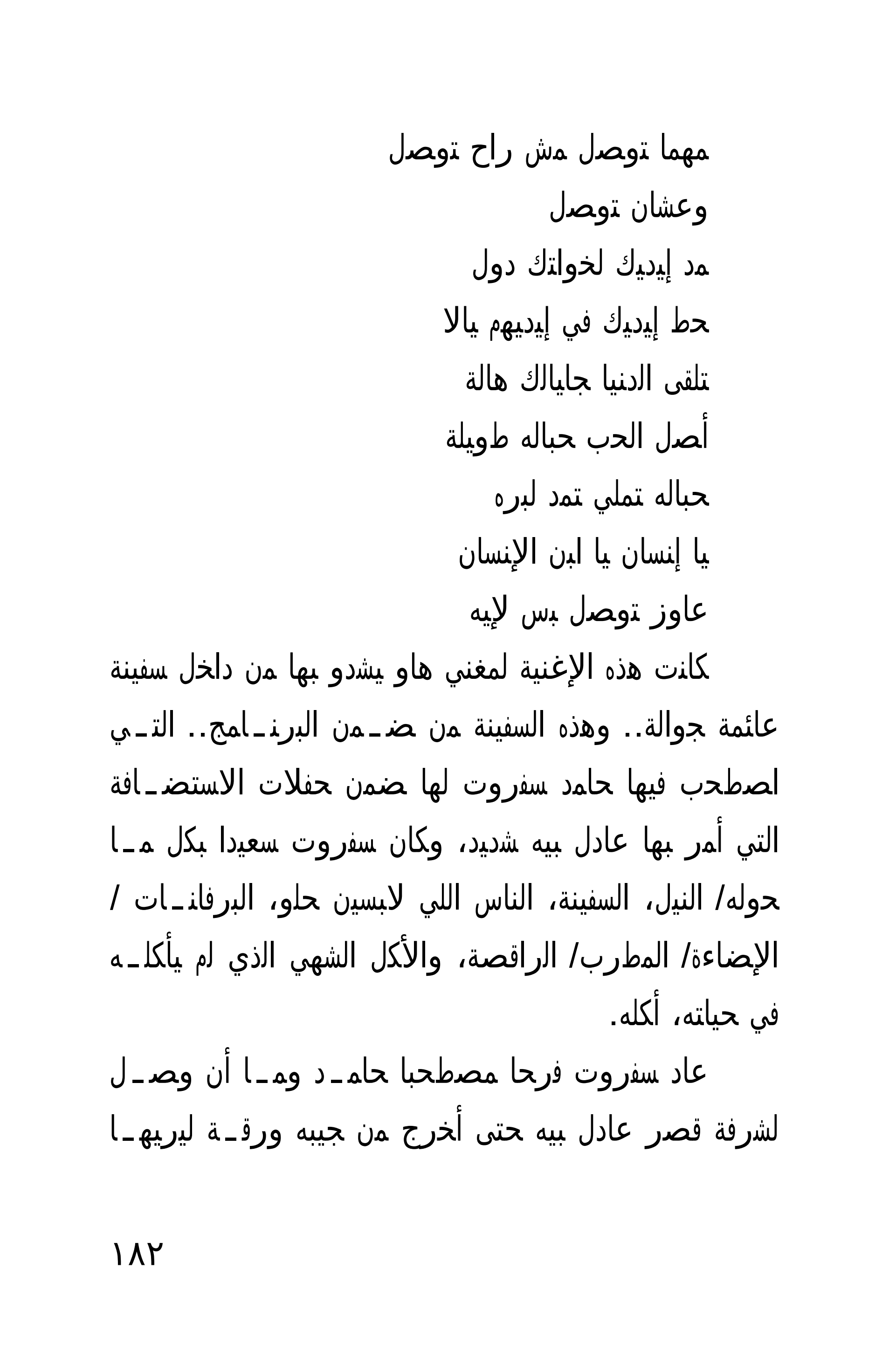
يعني الصحة مثلاً رزق

ويبقى ولادك برضك رزق

ويبقى نجاحك برضه كمان داخل في الرزق

يا إنسان يا ابن الإنسان

عاوز توصل بس لإيه



مهما توصل مش راح توصل
وعشان توصل
مد إيديك لخواتك دول
حط إيديك في إيديهم يالا
تلقى الدنيا جايالك هالة
أصل الحب حباله طويلة
حباله تملي تمد لبره
يا إنسان يا ابن الإنسان
عاوز توصل بس لإيه

كانت هذه الإغنية لمغني هاو يشدو بها من داخل سفينة عائمة جوالة.. وهذه السفينة من ضـمن البرنـامج.. التـي اصطحب فيها حامد سفروت لها ضمن حفلات الاستضـافة التي أمر بها عادل بيه شديد، وكان سفروت سعيدا بكل مـا حوله/ النيل، السفينة، الناس اللي لابسين حلو، البرفانـات / الإضاءة/ المطرب/ الراقصة، والأكل الشهي الذي لم يأكلـه في حياته، أكله.

عاد سفروت فرحا مصطحبا حامـد ومـا أن وصـل لشرفة قصر عادل بيه حتى أخرج من جيبه ورقـة ليريهـا

لحامد في اللحظة التي كان عادل بيه على وصـول وأخـذ الورقة من يده ليقرأ.. ولكنه أعطاها له ليقرأها هو..

قال له سفروت أتفضل اقرأ حضرتك..

قال له عادل ما بعرفش اقرأ..

ضحك سفروت لهذه الدعابة الرقيقة.. ولكن سـفروت ألح عليه أن يقرأها هو.. فضحك عادل وأعطاه الورقة ثانية ليقرأ هو مؤكدا.. ما بعرفش اقرأ ولا أكتب ودهش سـفروت ولم يعلق قائلاً.. مسعد أخويا أصله بيحب يقرأ ويكتب.. دي آخر حاجة كتبها لدعاء مراته بس أنا نقلتها بخطي بـس مـا حدش يقوله لحد هو ما يقولكم..

تحمس عادل وقال له قول يا سفروت

قال سفروت يقول مسعد سعيد..

هو الطير دا بيعرف يزرع

ولا الطير دا بيعرف يحصد

هو قارون دا بكل كنوزه

قدر يلبس زي ما ربك لبس طيره..

دخل سفروت مزاج عادل بيه، وذلك لجمـال صـوته وتأثيره عليه ثم قال له: بقولك إيه ممكن تعلمني؟

دهش سفروت ولم يصدق ما يقول معلنًا: بقى أنا اللي أعلمك والا أنت اللي تعلمني!!

أكد عادل شديد له قوله. صدقني الأسبوع دا أنـا فـي أجازة، ممكن أتعلم حاجة، وفجأة أدار عادل موسيقى راقصة وبدأ يرقص، فذهل سفروت أكثر لتصرفاته الفجائية العجيبـة فعاق سفروت فيه تلميذ يرقص أدام أستاذه..

فرد عادل ساعة الدرس مفيش رقص..

بعد الدرس فيه رقص.. بس سـيادتك أبـدا الـدرس وحتشوف..

وضحك سفروت وهو لا يصدق أن هذا المجنون يريد درسا..

قال له سفروت طب ما دام المسألة دخلت فـي الجـد هاتلنا بدل الكمبيوتر إنترنت، أحسن.. فقال عادل له.. ويطلع إيه الإنترنت دا.. المهم ما دام أنت عارفه، يبقى حعرفه منك بعدين.. وأعطاه مفتاح العربة الشيفروليه ليحضر له ما قاله..

استولى الشك على دعاء البيلي زوجة مسـعد الحـائر وملأها الشك أن مسعد سعيد على صلة بأخرى.. من أكد لها هذا الشك؟.. عدم اتصاله بها.. مهما كان على سفر.. كـان

لابد أن يتصل من أي مكان فليس له حجة.. وصرخت فجأة: لازم أسافر له.. أنا حاخد أجازة من الشغل وأسافر له، ولكن والدها منعها بكل الطرق قائلاً لها: إزاي تروحيله لوحـدك.. جايز مسافر ومش عايز يقول.. كل شيء جـايز والسـاعة دلوقتي ٢ بعد نص الليل.. اشربي كوباية اللبن دي ونـامي والصباح رباح.. ثم أمسك رأسها وبدأ يرقيها (أعوذ بكلمات ا التامة من شر كل شيطان وهامة ومن كل عين لامـة..) وأمسكها كوب اللبن وبدأ يحتويها وبدأت تشرب من يده بـق بق..

١٥

في حجرة حامد الواسعة والجميلة في قصر عادل بيـه كان جهاز (اللاب توب) قد وصل، (شنطة صغيرة بها شاشة وهو عبارة عن كمبيوتر كامل فيه شبكات الإنترنت)..

ترى الدنيا كلها أمامك.. وأي معلومة تريـدها فقـط عليك أن تسأل ثم تتصـل وسـتجد الإجابـة.. وفـي التـو واللحظة.. تتم فتح شبابيك المعلومات في كل أنحـاء الـدنيا بدون حواجز أو ناس يوصلوك لناس حتى ينقلوا لك ما تريد مكتوبا على الشاشة.

قال حامد لسفروت: الآن أنت والشاشة والعـالم كلـه معك..

قال له سفروت: أنا حاقولك بالعربي وأنت تترجملي..

قال له حامد: خلاص مـن النهـاردة أنـا المتـرجم الخصوصي لسيادتك..

- وبالنسبة لعادل أنا حفكر له في طريقة جديدة فـي تعليمه..

ثم سأل سؤالاً مين مخترعه؟

- تشارلز باينج الإنجليزي كان هو البداية.

وبدأ سفروت يسأل أسئلته.. وبدأ المتـرجم يتـرجم.. ليسأل الجهاز والشاشة ينظر لها سـفروت ليـرى الإجابـة بالإنجليزية مكتوبة عليها وكان أول سؤال..

كم عدد سكان العالم؟

وكان الرد مكتوبا على الشاشة ٦ مليار بني آدم..

قال له سفروت: هو لحق يعدهم.. ورد حامد ما هـو عاددهم من زمان.. واتخزن الرقم في الكمبيـوتر.. وسـأل سفروت: وميزانية التسليح في العالم أد إيه؟..

وجاء الرد من خلال شباك معلومات جديدة.. عشـرة آلاف مليار دولار على التسليح.. قال سفروت: طب لو العالم ما صرفش المبلغ دا يوفر كام؟.. وقال حامد للجهاز يا عم يا إنترنت.. فعلق سفروت على الكلام.. هو عمك.. فرد عليـه حامد: وبعدين بقى ما تهزرش في العلم.. سيبني أسأل/ وبدأ يكون حامد السؤال.. وكانت الإجابة لـو خفضـت الـدول الصناعية إنفاقها العسكري على السلاح بنسـبة ٣% يبقـى حتوفر أد إيه؟.. وردت شبكة نقل المعلومة في التو والحين.. حيتم توفير خمسة وثلاثين مليار كل سنة.. سأل حامد الجهاز

عدد الجعانين في العالم كام؟ وجاء الرد على الشاشة.. ربـع سكان العالم جعانين..

قال له حامد: وآدي الرد ربع سكان العالم وأنـت يـا حامد واحد منهم – علق سفروت: وأنت كمان وقال حامـد: وأنا كمان، ودهش سفروت: ياه بقى الدنيا كلها في الجهـاز الصغير دا..

فرد حامد الجهاز دا بالمعلومات اللي فيه.. وفر لكـل دول العالم الوقت.. والفلوس.. والسفر.. علمـاء ومفكـرين ومحاسبين وإحصائيين ضيعوا عمرهم وصـحتهم بحـث.. علشان يلخصولك الدنيا كلها ويسهلوها لـك.. علـى شـكل أرقام.. ومعلومات.. وحسابات..

الدنيا كلها في الإنترنت/ دايرة المعـارف البريطانيـة متخزنة هنا جوة الشنطة الصغيرة دي..

ودخل عادل فجأة حجرة حامد ومـا أن رآه سـفروت حتى انتفض واقفًا كمدرس له هيبته وقال لعادل في دعابة..

أنا دلوقتي حضرتاك الرضعة

دهش عادل.. رضعة!! داعبه سفروت: الدرس الأول يعني.. أتفضل أدامي وأخذ سفروت الجهاز وحمله في يـده

فأصبح شنطة وكتب ما قاله حامد له في ورقة بالإنجليزيـة وأستأذن سفروت من حامد الذي همس في أذن سفروت..

إبقى عقمله البزازة كويس.. وما تنساش الكفولة..

وضحك سفروت متقدما عليـه وكـان عـادل وراءه يسير..

***

قبل أن يبدأ الدرس قال عادل لسفروت خمس دقـائق بس نشرب حاجة سقعة، وجلسا في شرفة قصـره وتبـادلا قاموس المعرفة..

قال سفروت لعادل بطاقتك لو سمحت..

- عادل شديد – رجل أعمال.
- اسم الوالد اسم الوالدة..
- ماليش.. خرجت للدنيا من غير ما ألاقيهم.. مـين أبويا ما أعرفش.. مين أمي ما أعرفش.. خـواتي مين ما أعرفش.. أصلي إيه ما أعرفش..

قولي يا سفروت هو مسعد أخوك؟

- أيوه.
- يا بختك إن لك أم وأب علموك..

- ضحك سفروت وقال له: إحنا مش اتفقنا خـلاص إني حا اعماك.. قوللي يا عـادل عشـان أختبـر معلوماتك.. الحياة علمتك إيه؟

- علمتني إن القوة والفلوس كل شيء في الحياة..

سكت سفروت مندهشًا ثم حاول الكلام. لكن عادل وهو مضطرب ومنفعل قال.. إللي حنوا علي في دنيتـي القطـط والكلاب..

- قال له سفروت.. وفين صحابك؟..

- ماليش..

- ليه؟..

- لأني لقيط.. أيوه لقيط..

قال له عادل وهو تايه عن الوجود – يعني ابن سفاح.. لقوني في الشارع.. ما لقنوش في بيت.. وتجمد سفروت في زعل عليه ولم يستطع أن يبدأ الدرس ولا حتـى أن يشـرب عصير البرتقال.. وطلب من عادل أن يعود لمنزله..

***

- قال له عادل.. تروح هو أحنا لسة خدنا الدرس لما تروح..

ومد عادل يده في شنطة جلديـة منتفخـة وأعطاهـا لسفروت..

- إيه دول..
- ثمن الدروس اللي حتديهالي..
- بس أنا مش قاعد لك هنا على طول..
- بس أنت فهمتني إن الشنطة دي حتعلمني كل حاجة بسرعة..
- أيوه بس أنا لسه بتعلم من حامد حاجات عاوز لسه أعرفها..
- بس أنت أذكى منه.. واللـي هـو بيعلمهولـك.. علمهولي أنت أحسن..

حامد دا أنا ما بحبهوش.. معقولة اللي بشغله يخدمني.. هو اللي حيعلمني..

- أنا قاعد أسبوع لحد ما ييجي مسعد وبعدين راجع المدرسة في كفر الدوار.
- موافق... والأسبوع ثمنه اللي في المحفظـة دي/ عدهم.. وعندي هنا مجموعة أفلام كويسة..

فتح سفروت المحفظة فوجد عشرة آلاف جنيه.. وأراد المرواح قائلاً تسمحلي عشان دعاء حتتكلم بعد شوية..

- دعاء مين؟؟..
- مرات أخويا.. عشان بس أطمنها على مسعد..

وفجأة بادره سفروت بسؤال: أنت متجوز؟

- لأ..
- أنا عندي عروسة طيبة وغلبانة لو وقفت جنبها وساعدتها.. يبقى عشت سعيد طول عمرك..
- مين العروسة دي يا أستاذ؟..
- اسمها فرحانة.. حتى اسمها يفرح.. بتشتغل مع مسعد أخويا في النادي..
- حافكر لما أشوفك بكرة حقولك.. أكتب عندك تليفوني.. واديني تليفونك وتبادلا كتابة تليفوناتهم.

ثم قال سفروت نفسي أتفرج على الملاهي..

- يبقى بكرة إن شاء ا ناخد الدرس.. ونروح الملاهي.. وصاح عادل على حامد: جبت الشرايط..
- قال له حامد: الشرايط آهي..

- وصل سفروت البيت عند أخوه.. واديله الشـرايط اللي عاوزها.. واعرف العنوان كـويس بتاعـه.. عشان بكرة بالليل حتروح تجيبه..

وقّبل عادل سفروت وخـرج حامـد بـه وبشـرايطه وبشنطة الإنترنت التي أهداها له عادل، وانطلقـت العربـة بهما..

***

إن أَغْنَى الغني هو العقل وأكبر الفقر هي الحماقة والخبل

١٦

وصلت فرحانة إلى شقة مسعد سـعيد ودقـت البـاب بكثرة.. لم يخرج لها أحد.. ولا حتى سفروت جلست علـى طوبة كبيرة.. أمام باب الشقة الخارجي تنتظر في شرود..

وبينما حامد منطلق بالمرسيدس هذه المرة متجها لشقة مسعد في السيدة، وفي الطريق تبادل حامد مع سفروت هـذا الحوار:

- قال سفروت: حضرتك بتشتغل عنده من زمان..
- بقالي سنة..
- وبيديلك كام في الشهر..
- ألف جنيه..
- ياه! ألف جنيه.. ممكن أسأل سيادتك سؤال بـدون زعل..
- أتفضل؟
- هو صحيح جاهل؟
- جاهل!

وفي توتر أضاف له حامد.. جاهل وبس.. وعربجي.. وبلطجي.. وحيوان.. وسافل..

- طب ودا ينفع فيه دروس.. وأنت إيه اللي مقعـدك عنده؟

***

وقبل أن تصل المرسيدس بسفروت حتى بيت أخيه في السيدة.. كانت فرحانة قد قامت مـن علـى الطوبـة وصعدت أعلا البيت فوق السـطوح حتـى لا يراهـا أحد.. وقد وضعت النقاب فـوق وجههـا.. وجلسـت وسندت ظهرها على جدار حيطـة.. وهـي تراقـب الشارع من أعلى.. وفجأة سـمعت صـوت موتـور المرسيدس فتنبهت.. ونظرت.. وظلت تراقـب حتـى رأت بعينيها وهي غير مصدقة سفروت ينزل وفي يده شنطة وتنصرف المرسيدس لحال سـبيلها.. وينطلـق سفروت لداخل شقة أخيه..

***

هبطت فرحانة السلالم في لهفة لاهثـة ودقـت بـاب الجرس بسرعة..

خاف سفروت.. فأغلق الباب بشدة.. وهو يسأل مـن وراء الباب.. مين.. مين؟!

قالت له فرحانة بصوت.. أقرب للهمس.. أنا فرحانة يا سامي افتح بسرعة..

وفتح سامي في لهفة وشوق، وما أن رأته فرحانة حتى أخذته في أحضانها.. وهي متلهفة على عودته وتبكي..

قال لها سفروت.. أنتى بتعيطي.. دا أنا خلاص لقتلك عريس واحد ما تحلميش بيه.. تعالي تعالي.. أحكيلك..

وآخذها سفروت من يدها وجلسا في الصالة..

وحكى سفروت كل شيء بمنتهى الدقة لفرحانة التـي أخذت من يده وأخذت منه الشنطة (الأنترنـت) والشـرايط وشنطة الفلوس الهدية.. وأغلقوا باب الشقة جيدا.. وانطلقـت بسفروت وهي تجري خارج حدود السيدة في سرعة عجيبـة وسفروت لا يعرف إلى أين هو ذاهب..

وظلت تجري وهي تمسك بيـد سـفروت وسـفروت يجري معها حتى انتشلهم تاكسي ابن حلال.. لقطهم بسـرعة وقالت فرحانة للسائق أقرب فندق هنا فين؟

قال لها السائق غالي ولا رخيص..

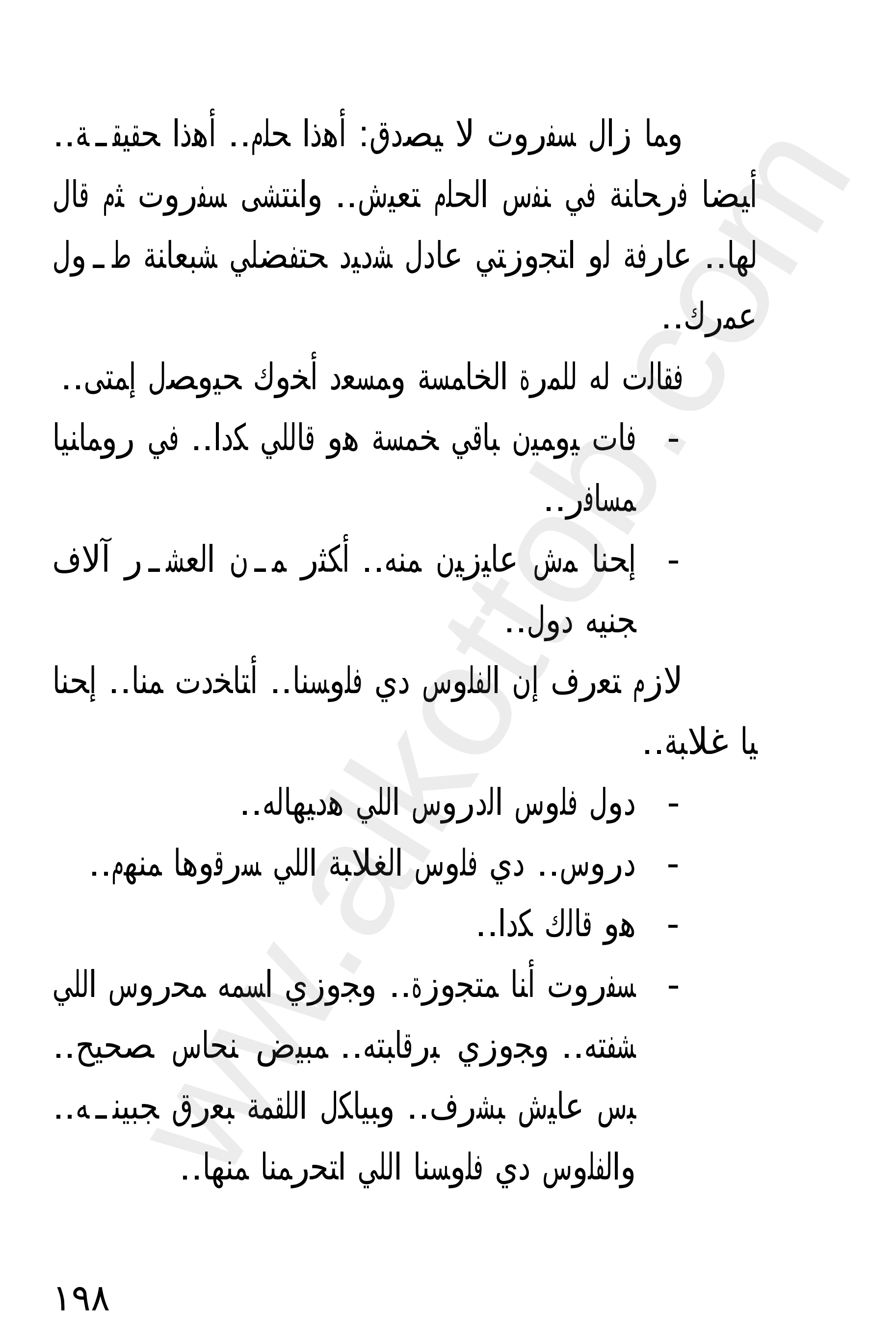
- متوسط..
- في المنيل والا ع النيل
- أي فندق حنين قريب.. لا هو رخـيص ولا هـو غالي
- فيه فندق كويس ٣ نجوم في جاردن سيتي..
- طب سوق بسرعة واطلع عليه..

وفي سرعة كان التاكسي وصل.. ودخـلا الفنـدق ٣ نجوم.. وسفروت في ذهول ودهشة.. في هذا المكان الفخم.. وهي الأخرى مذهولة أكثر منه.. وقد أبانت وجهها بعـد أن خبأته كثيرا عن الأعين..

***

وفي حجرة كبيرة داخل الفندق جلست فرحانة.. فـي كرسي كبير.. راقي، وجلس سفروت أمامها.. اليوم عيـد.. هذا هو عيد.. كل شيء جديد.. وجه فرحانة صار مشـرقًا.. وجه سفروت صار أجمل.. وهذا هو باسكت الفاكهة المشكل الذي يقدم لكبار الشخصيات أمامهم..

وها هو الدش يعرض لهم فـي التليفزيـون الأخبـار



وما زال سفروت لا يصدق: أهذا حلم.. أهذا حقيقـة.. أيضا فرحانة في نفس الحلم تعيش.. وانتشى سفروت ثم قال لها.. عارفة لو اتجوزتي عادل شديد حتفضلي شبعانة طـول عمرك..

فقالت له للمرة الخامسة ومسعد أخوك حيوصل إمتى..

- فات يومين باقي خمسة هو قاللي كدا.. في رومانيا مسافر..
- إحنا مش عايزين منه.. أكثر مـن العشـر آلاف جنيه دول..

لازم تعرف إن الفلوس دي فلوسنا.. أتاخدت منا.. إحنا يا غلابة..

- دول فلوس الدروس اللي هديهاله..
- دروس.. دي فلوس الغلابة اللي سرقوها منهم..
- هو قالك كدا..
- سفروت أنا متجوزة.. وجوزي اسمه محروس اللي شفته.. وجوزي برقابته.. مبيض نحاس صحيح.. بس عايش بشرف.. وبياكل اللقمة بعرق جبينـه.. والفلوس دي فلوسنا اللي اتحرمنا منها..

- وبعدين أنا مشم فاهم حاجة.. هوا فيه إيه؟
- أنا حقولك حنعمل إيه.. بس كل.. كل..

وأخذ سفروت تفاحة قضـمها وردت عليـه فرحانـة بقضمة أخرى من تفاحة توقفت بين يديها فجأة وغطست في زئير ضحك ونشيج بكاء وشردت عيناهـا الغـارقتين فـي الدموع وهي تفكر في شيء مجهول..

إن البشر والبشر وحدهم هم الممثلون الحقيقيون الذين يقومون بأدوار هامة على مسرح الحياة..

وبينما نلاحظ أن الحيوان والنبات ينزعان نحو البقـاء نجد أن الإنسان والإنسان وحده يقلق لحياته..

وهو لهذا يسائل نفسه لم قدم إلى هذه الحياة الدنيا؟

وما المهمة التي يراد له تحقيقها على هذه البسـيطة؟ لوجدنا أن السر في ذلك هو أن ما تزال لدى كل منا رغبـة عميقة لم يتم إشباعها بعد..

***

١٧

أمسك عادل شديد بحامد الذي عاد له خـاوي اليـدين وهو يهزه في عنف منفجرا فيه في غيظ فـين الشـريط يـا حامد؟! الشريط فين..؟ اللي كان في الخزنة.

- يبدو أن هذا الشريط الذي اختفى خطير مما جعـل عادل يخرج عن وعيه، واستأذن حامد أن يسـرع لسفروت قد يجوز أن الشريط هـذا اخـتلط فـي الشرايط التي أخذها أستاذه ومعلمه سفروت..

وزأر عادل صارخًا آمرا حامد.. بسرعة امشي مـن أدامي.. تجيبلي الشريط.. وكل الشـرايط الثانيـة وتجيبلـي سفروت في إيدك.. خرج حامد كالبرق في الشفروليه متجها لشقة مسعد سعيد التي فيها سفروت حاول كسر الباب بكـل الطرق لم يستطع.. حاول مرة أخرى.. حتى كسـره.. ولـم يجد سفروت.. ولا الشرايط.. فتش الشقة في كل مكان حتى في دورة المياه.. وترك البـاب المكسـور مفتوحـا وعـاد بالشيفروليه بسرعة يحسد عليها.. كان.. يسوق بلا وعـي.. وعيناه شاردتين..

قصة هذا الشريط أنه مسجل عليه سـرا لا يعلمـه إلا عادل وحامد فقط، وكان حامد في إحدى الليالي التي سـكر فيها سيده عادل شديد تسلل إلى مفاتيح الخزينة وفتحهـا دون علمه وأخذ بعض النقود وهذا الشريط ثم أغلق الخزينة وأعاد المفتاح لمكانه..

***

١٨

وفي الفندق الـ ٣ نجوم.. جلس سـفروت مسـترخيا وهو يشاهد الشرايط المهداة له من عادل فلقد شاهد شريطين هو وفرحانة لميكي ماوس وتوم وجيري وظـلا يضـحكان كثيرا وهناك شريط أمامهم يشاهدوه الآن والحوار السـاخن مستمر بينهما.. قالت فرحانة في تشفي..

عادل شديد اللي عاجبك.. كان حيموتني لأني طلبـت منه فضلات أكله الزيادة اللي بيرميها في الزبالـة.. عشـان الغلابة ياكلوها.. ويعيشوا بدل ما يموتوا بالحيا.. تفتكر عمل في إيه؟..

- عمل إيه؟

قالت له في حزن وزعل وبكاء منهمر..

سلط علي ثور اسمه مهجص.. راجل طوله متـرين.. وجرحوني وأنا بصرخ إنهم يسيبوني لولادي مفيش فايـدة.. وضربني وحط راسي تحت جزمته ومناخيري بقـى يشـاب دم.. وحبسني وكنت حاموت.. لولا ربنا بعتلي مسعد أخوك ربنا يحميه لشبابه ويرجع بالسلامة.. فك حبسي ونجاني..

وراحت في نشيج وبكاء هستيري..

فلقد تذكرت شريط عذابها..

***

وبينما سفروت يحاول تهدئتها ويرجوهـا أن تتفـرج أحسن ع الفيلم..

حاولت أن تستجمع أعصابها وتمسح دموعها وقدم لها سفروت فوطة مبلولة نشـفت دموعهـا، وظلـت عيناهـا شاخصتان.. حتى وقعت على شاشـة التليفزيـون وكانـت المفاجأة وذهل سفروت لما يشاهد ويسمع ها هو عادل فـي شريط خاص به.. مع أحد الخواجات الأجانب يتحاوران..

قال عادل في الشريط المعروض تؤمرني يـا مسـيو فيليبو

وبدأت فرحانة تتنبه لهذا الشريط المسجل الذي يعرضه سفروت في الفيديو..

قال فيليبو.. العملية اللي فاتت كانت صـغيرة.. مـش كبيرة يا عادل..

إيه يعني نسف صهاريج الميه

امسك خمسة مليون جنيه

العملية الجاية.. القطر المجري

لو نجحت حتتنقل من هنا لإيطاليا..

وفيه حاجة كمان بفكر اك فيها وتخليك مشهور على مستوى العالم.. بس بعدين بعدين..

على فكرة بربوشة حامل..

ضحك عادل منتعشًا سعيدا.. بربوشة.. أخيرا حابقى جد..

وفي لمح البصر صرخت فرحانة هات الشريط دا هاته.. بسرعة هاته.. قام سفروت بسرعة وأخرج لها الشريط..

وأخذت فرحانة الشريط ودسته تحت ملابسها.. وفي سرعة البرق انطلقت قدماها كريح صرصر عاتية وسفروت في دهشة مما تفعل..

***

إن مريض الشبع هو الذي يأخذ بدون وجه حق

وبسوء نية مالا يستحقه

ضاربا بالقيم وبالإنسان

عرض الحائط ولا يخاف أحدا.

***

خرجت فرحانة من هنا وعاد حامد لعادل من هنا بدون هذا الشريط الذي يسجل فيه كل قذاراته وإجرامه ودماراتـه وجن جنون عادل ودارت معركة شرسة بين عادل وحامـد/ انتهت بقتل حامد أمام الخدم والشغالين وعام فـي دمائـه.. وكانت آخر كلمة قالها عادل له:

الشريط دا وثيقة باثبت بيها حقى عند فيليبو/ لـو فـي يوم رجع في كلامه.. كدا تخوني يا حامـد – بتحقـد علـي علشان أنت متعلم وما معاكش وأنا جاهل ومعايا – وصـرخ في الجميع:

إزاي فتح الخزنة دي – إزاي يا كلاب..

***

إن الذكاء يكلفنا ثمنًا فادحا.. إما أن ندفع الثمن أو ننفي الذكاء وحامد خانه ذكاؤه.. مع هذا الشريط الذي كان سـببا في قتله كان حامد يتحين أي لحظة يكون عادل فيها نائما أو بعيدا عن الخزينة أو سكرانًا المهم أن يكون داخل القصر لا في خارجه حتى يضمن ويتأكد من وجود المفـاتيح خاصـة مفتاح الخزينة التي يقبع فيها الشريط..

وكانت خطته هي أن يعيد الشريط إلى مكانه بعـد أن يأخذه ويسجل نسخة منه.. مبررا ذلك لنفسه.. قد يكون هـذا الشريط في يوم من الأيام سندا أو سلاحا يحمينـي فـي أي لحظة بطش أو ضغط على من عادل شديد..

وقد يكون بالنسبة لي سندا للضغط عليه ساعة اللزوم.

رأى حامد عبد السلام أو تراءى له أن الوقت وعنصر الزمن والظروف والفرصة المتاحة غير متاحة..

اسعفه ذكاؤه وهو يعطي الشريط لسفروت.. أن يضعه أمانة عند سفروت ويأخذه منه ويطبع منـه نسـخة يأخـذها ويهربها بعيدا عن عادل شديد بعد ذلك.. ثم يعيـد الأصـل للخزينة كما كان..

ولكن خانه ذكاؤه فقتل..

***

إن مفهوم العدالة يخضع للنقاش

إما القوة فهي معترف بها بغير جدل

***

١٩

عند محطة السكة الحديد كان سفروت يركب القطـار الذي سيسير به في لهفة عائدا لمدينة كفر الدوار حيث أقنعته فرحانة بالعودة.. ليطمئن دعاء.. وأعطته في يـده خمسـة آلاف جينه.. وجلس سفروت في القطـار مودعـا وتحـرك القطار ليعود بسفروت العكروت لبلاده دون أن يعلـم وحتـى الآن.. أين سافر أخوه مسعود..

***

وفي كفر الدوار كان الصراخ يدوي في حجرة دعـاء السيد البيلي ولم يستطع والدها ولا أمها ولا حتـى الجيـران الذين يهدئوها أن يوقفوا ثورتها..

مش عايزاه.. مش عايزاه.. محدش يكلمني.. باكرهه.. كان يوم مهبب يوم ما عرفته.. غلط غلط.. مصر خطفتـه.. خطفوه.. خطفوه.. خطفوه... وأغمى عليها وصـرخت الأم وساد الذهول البيت..

***

انتقلت فرحانة لمبنى جريدة الأهرام وقابلت الصحفي الطيب الشهير بإنسانيته حلال المشاكل الأستاذ عبد الوهاب مطاوع وسلمته الشريط/ شاهده واتصل واتصل بأمن الدولة.. ولم تنس أن يكون معها نسخة أخرى من نفس الشريط وطلب الأستاذ مطاوع منها عنوانها فقالت له عنوانها الحالي بفندق الثلاث نجوم بجاردن سيتي حجرة رقم ٣١٣ الدور ١٣ وأخذت هي الأخرى رقم تليفونه.. وشكرها وشكرته وانصرفت..

***

انطلقت عربة مجنونة جديدة ماركتها بورش لنادي الزمالك ونزل منها في شرود عادل شديد سائلاً عن فرحانة وأعطوه العنوان القديم.. حي زينهم..

فقال لهم هو دا عنوانها..

فقالوا له هو دا عنوانها..

عاد لعربته وكاد أن يجن واللي حيجننه أكتر سفروت الذي لم يعد يراه، بل والذي نسيه تماما ولم يصدق هل في الدنيا يوجد مدرس عيل يأخذ أكثر من حقه وأشترى له إنترنت وأعطيه الشرايط التي يريدها.. ثم يختفي..

إين ذهب.. أين تذهب؟..

وانطلق بالعربة وهو يدخن بغزارة.. بـل وامـتلأت عربته بسحب الدخان.. فلقد كان يدخن سيجارا كوبيا..

***

ناعمة كالحرير قاطعة كالسيف صارت فرحانة التـي علمتها التجربة كيف تتكون الإرادة..

انطلقت فرحانة لكرداسة تشـتري ملابـس لزوجهـا وأولادها..

وما أن ارتدوا الملابس الجديدة حتى أخذتهم على بساط الريح وسافرت بهم جميعا كي يعيدوا فاليوم عيد، وفي سرعة البرق كانوا معها في الفندق في الحجرة الخاصة بهـا، ويـا هول ما رأوا من أكل..

ومكان.. وراحة ومنـاظر وأجهـزة.. وتليفونـات.. ودورات مياه.. وروائح.. ومراتب.. وأغطية.. وفي فرحـة الأولاد بالعيد الآن.. غطى صوتهم على صوت التليفزيـون ولم يعد أحد يسمع أحدا وحكت لهم.. فرحانة القصـة مـن البداية.. وشك زوجها محروس فيها عندما شاهد فـي يـدها ريمود التليفزيون.. صرخ بأعلى صوته يا نهار أسود مراتي

جاسوسة إيه اللي ماسكاه في إيدك دا؟.. فرمت له الريمـود وخاف أن يمسكه واكتشف أن مراتـه حتورطـه فأخبرتـه وعلمته وأقنعته أن اسمه ريمود.. وبدأت تشرح لـه كيـف يعمل الريمود عندما تضغط على زرايره وأنت جالس علـى السرير ومن على بعد.. وكيف يتم تغيير القنـوات.. وأنـت جالس وعلى بعد.. دي قناة.. ودي قناة.. ودي قناة.. ذهـل محروس وهو لا يصدق وأخذ الريمود منها وظل يلعب بـه يغير من قناة لقناة وهو سعيد كالأطفال.. والآن اطمأن قلبـه أن زوجته ليست جاسوسة..

***

تحرك خدم عادل شديد الذين يعملون فـي قصـره.. وذهبوا لمقابلة وزير الداخلية وكان بينهم خادم من سيريلانكا قالوا كل شيء عن ابن السفاح هذا..

بينما اتصل الأستاذ عبـد الوهـاب مطـاوع بـوزير الداخلية وأعطاه الشريط.. وشاهدوه.. بل وشـاهده الحـاكم أيضا لدراسة هذا المخبول وكان وزير الداخلية يتخذ خطواته السريعة معلنًا للملايين وعلى شاشة التليفزيون الآتي:

استطاعت الداخلية أن تتوصل وكذلك أمن الدولة إلـى وجود خطة تخريبية.. لبعض المنشآت القومية في هذا البلـد الآمن..

والداخلية تهيب بالمواطنين أن يساعدونا في التوصـل إلى القبض على هذا السفاح ابن السفاح الهـارب.. واسـمه عادل شديد..

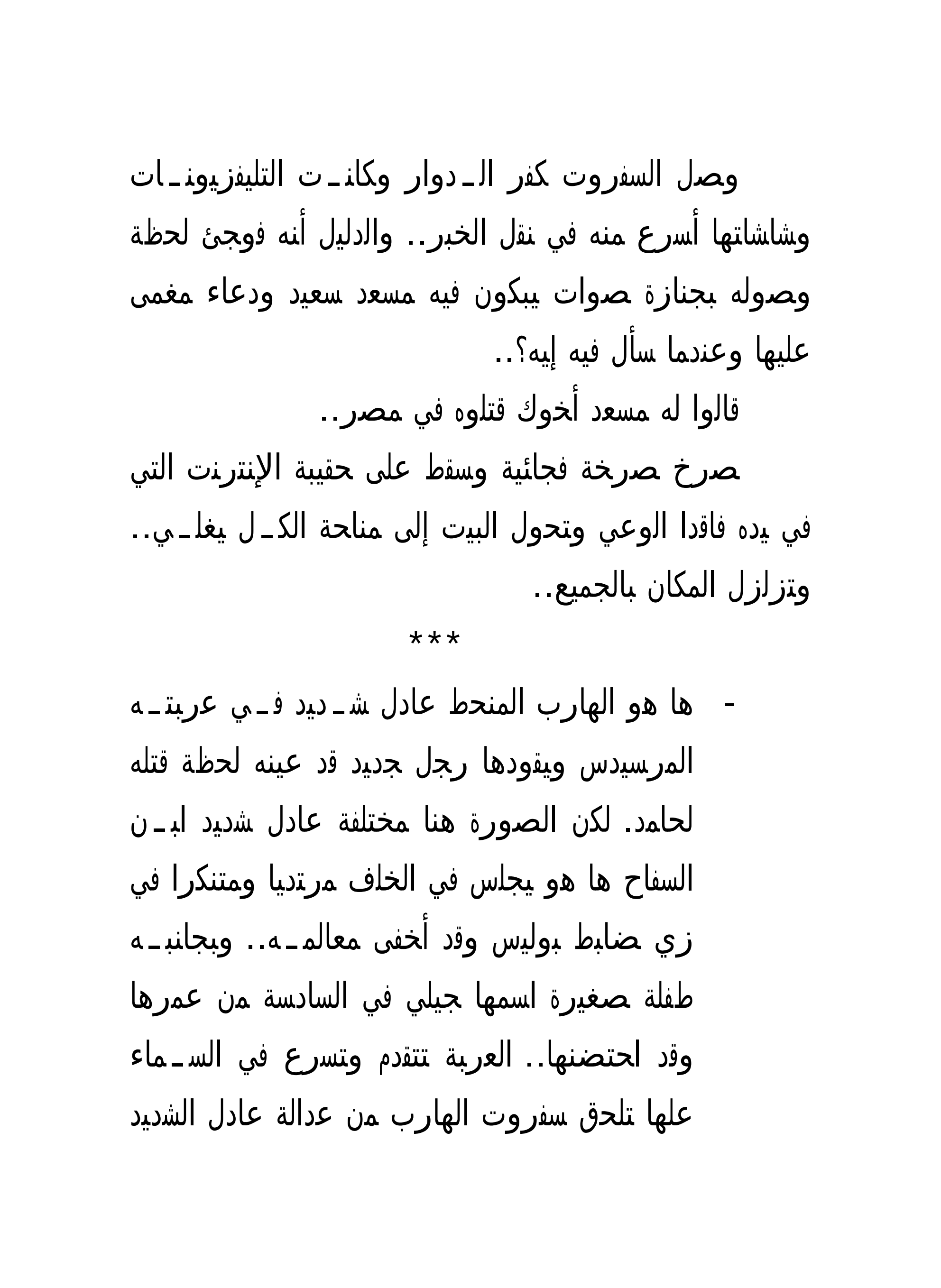
نسف صهاريج عمارة المعادي.. وهـو علـى صـلة بجهات أجنبية يمثلها شخص يدعي فيليب.. وقـد قـام ابـن السفاح هذا بقتل حامد عبد السلام.. مسعد سـعيد.. بنـورة الخربوطلي.. وما خفى كان أعظم.. والسفاح الآن في طريقه الآن لنسف القطار المجري الذي يقوم مـن محطـة مصـر الساعة السادسة والربع وقد أخذنا كل احتياطاتنا..

وأعرض عليكم هذه الوثيقة الآن لتشاهدوها ولتعرفـوا شكله جيدا ومعه هذا العميل الأجنبي فيليبو..

وبدأ التليفزيون يعرض شريط الفيديو الـذي أوصـلته فرحانة الشجاعة للمسئولين في الدولة..

هل نحن في زمن الاقتراب.. أم هو زمن الاغتراب؟!!

***



وصل السفروت كفر الـدوار وكانـت التليفزيونـات وشاشاتها أسرع منه في نقل الخبر.. والدليل أنه فوجئ لحظة وصوله بجنازة صوات يبكون فيه مسعد سعيد ودعاء مغمى عليها وعندما سأل فيه إيه؟..

قالوا له مسعد أخوك قتلوه في مصر..

صرخ صرخة فجائية وسقط على حقيبة الإنترنت التي في يده فاقدا الوعي وتحول البيت إلى مناحة الكـل يغلـي.. وتزلزل المكان بالجميع..

***

- ها هو الهارب المنحط عادل شـديد فـي عربتـه المرسيدس ويقودها رجل جديد قد عينه لحظة قتله لحامد. لكن الصورة هنا مختلفة عادل شديد ابـن السفاح ها هو يجلس في الخلف مرتديا ومتنكرا في زي ضابط بوليس وقد أخفى معالمـه.. وبجانبـه طفلة صغيرة اسمها جيلي في السادسة من عمرها وقد احتضنها.. العربة تتقدم وتسرع في السـماء علها تلحق سفروت الهارب من عدالة عادل الشديد

الذي يجزم أنه توصل لحيلة خطط لها جيدا وأنها
الحل الوحيد للقبض على السفروت ومحاكمته..

فعادل يعلم جيدا أنه طلب منه أن يريه الملاهي.. ومن يدري قد يكون قد سبقه السفروت للملاهي!! توقفت العربة في العاشرة مساء وهو يدرك تماما أن البيه السفروت قد دخل قبله الملاهي وبالتالي يستطيع أن يحاصره بكل الطرق.. هكذا تأكد عادل شديد من خطته وتنبؤاته..

***

دخل عادل من الباب الرئيسي ومعه جيلي التي حملها على صدره ووقف السائق على بعد ينتظر.. واندس وسط الملاهي وبدأت رحلة البحث.. إن الشك تمكن منه ولم يعد يتحكم في جسمه.. المراجيع تدور.. والكهارب تأخذ بالأبصار.. والألعاب الخيالية كثيرة..

قالت له جيلي.. عاوزة أركب مرجيحة..

قطعا تذكرتين وركبا المرجيحة.. وعيناه تبحثان من أعلى عن ضالته المنشودة ومن تحت ملابسه بدأ يخرج نظارة معظمة.. أخذ يتجول بها عبر المكان من أوله لآخره.. دون العثور على السفروت الهارب المادي..

٢٠

في إحدى القاعات الكبيرة كان الحاكم يتحدث مع مفتي الدولة.

قال حاكم الدولة.. الناس بتزيد.. والأرض مش مستحملة.. والفقر ما بيرحمش.. واللي بيخلفوا عمال على بطال.. دول.. هم أساسا مش لاقيين ياكلوا.. وأكيد ولادهم هيموتوا م الجوع.. ودا تخاف بيؤدي للجريمة.. وهو دا اللي لازم يفهموه.. لذلك باقترح اللي يبطل خلفة بعد المولود الثاني.. الحكومة تصرفله مكافأة.. وإذا كان هؤلاء الفقراء المساكين عدوا حدودهم وصعب يقفلوا الحنفية.. إيه اللي ممكن الدولة تعمله.. أجيبلهم أكل منين؟ الشبعان ما بيرحمش..

ورد مفتي الدولة معلقًا عن سيدنا على بن أبي طالب.. لو اقتسم كل فرد جائع نصف بطن شبعان لما كان هناك جوع.. وأنه لن يموت إنسان إذا أكل نصف الطعام الذي تعوده.. وبهذه الطريقة نعالج الشبعان من أضرار الشبع وننقذ الجوعان من أضرار الهزال..

***

ليست الحرية أن يفعل الإنسان ما يشاء.. ولكن الحرية الصحيحة أن يوجه الإنسان إرادته طبقًا للعقل السليم..

إن الانفتاح الاقتصادي والاستهلاكي قد نقـل شـرائح فقيرة جاهلة وغير متعلمة من خانة الفقر.. إلى خانة الثـراء الفاحش بدون سبب معروف.. وهذا هو المناخ المقزز الـذي أفرز لنا عادل شديد والذي وعده فيليبو بطائرة خاصة هديـة له.. بعد أن ينجح في نسف وتفجير القطار الذي ينتظر خبره بفروغ الصبر..

***

بينما فرحانة منتشية بلبس الملابس الجديدة ومحروس وقد ارتدى جلباب نظيف لأول مرة في حياته وأولادها الـ ـ ٨ في جلابيب مفرحة.. توجهت فرحانة ومعها بوكس به قوة لا يستهان بها قاصدة الملاهي/ بعد أن أخبرها سـفروت أن تتوجه للملاهي في الساعة العاشرة مساء فهو على موعد مع الشديد..

فكرت فرحانة قبل الذهاب وقالت لنفسها الواد خد منه فلوس والشرايط.. والجهاز اللي جبهوله.. وكان قايلله نفسي

أروح الملاهي معاك/ أكيد.. المجرم عامله كمين هناك.. أنا بقى مش حسيبه/ وتشجعت فرحانة ومعها زوجها وأولادهـا وانطلقوا في عربة يسوقها أحد رجـال الشـرطة ودخلـت وزوجها أولادها مدينة الملاهي..

***

٢١

وبينما كان عادل ومعه الطفلة جيلي قد اسـتقلا لعبـة جديدة وهما يأكلان في سعادة..

كانت فرحانة قد وصلت واندست وسـط النـاس فـي الملاهي ومعها أطفالها مشدوهين.. وقـد أمسـكوا بعضـهم البعض حتى بانوا كتلة واحدة وهـم يتحركـون... وجـدوا مطعما صغيرا.. جلسوا فيه.. يأكلون.. وما أن انتهـوا مـن الأكل الجيد الشهي.. حتى انطلقوا تجاه المراجيح.. وبدأوا في الركوب.. وكانت آخر الراكبين فرحانة.. المرجيحة تـدور بهم.. وهم يضحكون... والسماء تحييهم وهم يشكروها.. وقد رفع محروس يديه للسماء يشكر الرزاق.. وما أن انتهوا من متعتهم.. نزلوا من المرجيحة مبسـوطين.. وبـدأت رحلـة المشي.. وأخذ محروس الأولاد أربعة على يمينه و٤ علـى شماله قطع لهم التذاكر ليلعبوا مع الأطفال وبدأوا في ركوب العربات الممغنطة.. وركب هو عربة أيضـا مـع أصـغر أولاده.. بدأت العربات المغناطيسية تدخل في بعضها البعض والكل يضحك.. وكل سائق عربة ممغنطة يحاول أن يتافدى

السائق القادم له من على بعد.. بينما تسمرت ولـم تتحـرك عربات أولاده.. وهو يصيح عليهم.. دور الدكسيون وهم لا يعرفون.. فيفاجأ والعربات تطس فـيهم.. فـي ظهـرهم.. فيصرخون في خوف.. لأن النقلة بالنسبة لهم كانـت كبيـرة دون تمهيد.. بينما فرحانة تجري تجاه بعض البائعين الـذي يبيع وشوشًا مضحكة..

***

ومن على بعد كان عادل يحاول اللحاق بجيلي.. التي على وشك أن تتوه منه.. فحاول استجماع نفسه وبدأت رحلة عذابه مع المشي فهو لا يستطيع أن يجري.. فلقد هده الشك.. فا يمهل ولا يهمل.. ووصلت الطفلـة جيلـي إلـى بـائع الطراطير تشتري طرطورا.. رأتها فرحانة طفلة جميلة ذات وجه مشرق فقبلتها.. واشترت لها طرطورا ووش ضاحك.. وظلت الطفلة تلبس الوش وتلعب مع فرحانة.. وانفتح عـادل على مصراعيه وهو يجري في إثارة ورعب حتـى فـوجئ الرواد بضباط يجري بصعوبة ويصيح..

***

وصل الشديد بشدة وصعوبة حتى فرحانة بعد أن رآها بنظارته المعظمة.. ووضع يده على كتفها.. التفتت وراءهـا فرحانة مصعوقة.. دققت الرؤية وظلت تصرخ وهي تجري وقد داست على جيلي التي تبعثرت باكية من هول ما ترى.. نسى الشديد جيلي وظل يصرخ وهو يهرول ويزك أمسكوها

– المجرمة آهي – يا عالم حد يساعدني المجرمة آهي..

وفرحانة دبت الريح في قدميها مهرولة.. وهي تحاول الصراخ ولكن صوتها قد جف في حلقهـا، ولكـن ا كـان أقرب إليها من البشر إذا هداها في جريهـا المتخـبط هـذا لزوجها وأولادها فارتمت عليهم كطوبة ارتطمت بهم..

بينما عادل شديد كان قد اختبأ وراء مكـان مظلـم.. ويصل سواق عادل شديد الذي ينتظره فـي الخـارج وهـو عبارة عن كشك طوله مترين.

عيناه تتجولان في كل مكان بحثًا عن الرجل المتبعثـر وهدته نظارته المعظمة التي تقوده بحثًا عنه حتى رآه.. فظل يجري كعمود مسلح انسلخ من إحـدى العمـارات وتركهـا تهوى.. حتى انتشل عادل شديد وحمله على ظهره حتـى لا يعطله الزمن عن اللحظة السانحة لحسـم الموقـف فـي أي

لحظة.. ظل يجري هذا السواق به وبصعوبة وعادل شـديد ينظر بالنظارة المعظمة وبينما الرجل يجـري كـان عـادل يوجهه في اختيار أماكن الجري وكأنه دركسيون يحركه كما يشاء حتى صرخ عادل فيه.. آهه المجرمة آهه..

أخذ السائق المنظار ونظر في اتجاه يد عادل..

انطلق السائق كدبابة وفجأة من خلف ظهـر فرحانـة وزوجها محروس وأولادها كانت يد عادل المحمول تشـدها من شعرها الشيء الذي جعلها تصرخ وكأنها صـعقت مـن تيار كهربائي.. وعادل شديد يصرخ.. المجرمة آهي اللـي سرقتني هي ومسعد وسفروت..

تجمد الناس في دهشة كحكم يستمعون لكي يصـدروا الحكم على من ظلم وكل واحد حسب نيته ومـا تجـود بـه نفسه..

لكن عادل وقبل أن يصدر الحكم تنبه وبسرعة.. غمز السائق الذي هرول به وظل يجري كقذيفة خائفة لا تعـرف هدفها.. وهو يصرخ.. إلحقوني.. إلحقوني.. المجرمة.. اللي سرقتني..

وتنبه بعض الناس الذين تنبهوا للموقف.. دا السفاح عادل شديد.. أيوه هو..

دبت جلبة مدوية بين الناس التي انطلقت بعد فوات الأوان وهي تلهث: السفاح – السفاح! لكن السواق وعادل كانا قد خرجا من الموقف بذكاء ودهاء...

قال أحد المندهشين الواعين لصاحبه.. عادل السفاح ابن السفاح دا.. بلطجي.. هرب زي أي بلطجي سايبينه.. أنت عارف يعني إيه بلطجي.. عارف والا مش عارف؟

- قال له صاحبه.. عارف يعني فتونة ومالوش كبير..
- أكمل الواعي المندهش حديثه وهو في فوران.. يعني خروج على قوانين المجتمع.. ونظمه السياسية والاجتماعية والواد المنحط دا بلطجي.. والسجن ما بقاش تهذيب ولا إصلاح.. لأن المجرمين دول بعد ما بيسجنوهم ويخرجوا بيطلعوا برضه مجرمين ويمارسوا برضه الإجرام..
- قال له صاحبه.. والحل..

- الحل لازم يكون جذري..
- إزاي..
- ابن السفاح دا منحرف مالوش بيت ولا أب ولا أم ولا له صلة بالمجتمع والكل بيتف عليه.. التفافـة دي بتحوله لباطجي/ إحنا على الأقل ربنا أكرمنـا ولقينا اللي يربينا وبيت يحمينا.. هو مالقاش لا حد يربيه ولا حد يوجهه..
- مضبوط تمام..
- عشان كدا دول لازم ينصرف لهم مساعدات مالية عشان نخلي الحيوان دا بني آدم/ نشوفله مكان ينام فيه شغلة تجيبله لقمة.. وناخد بإيده ونعامله بعـد خروجه م السجن كإنسان وليس كمجرم حتى تعود له إنسانيته.. العالم فيه ملايين المخابيل من اللقطاء أمثال عادل شديد اللي اتحرموا م النسب والأصل والجذور.. عشان كدا عايزين يثبتوا للعالم إن لهم هوية/ كانت النتيجة إيه اتقلبوا على الدنيا..
- ومين بقى اللي حيساعدهم؟

- الدولة الداخلية والناس والمصلحين اللي حينفذوا دا ويراقبوه ويوصلوه بشويش ويرجعوله آدميته اللي فقدها وإيمانه ودينه اللي ما يعرفهوش..

***

كانت الصدمة مدوية بالنسبة لفرحانة عند خروجها مع زوجها وأولادها من الملاهي.. لكنها فوجئت بصـدمة أشـد منها هو مسعد حي ولم يمت جالسا في عربة بجانـب بـاب الملاهي الرئيسي..

في حالة انتظار.. ماذا ينتظر ا أعلم..

- ما أن رأته فرحانة حتى أصيبت بهستيريا وهـي تصرخ بدون وعي
- بينما امتدت إحدى إيادي رجال الأمن لكي تحملها وتضعها في العربة مع زوجها وأولادها.

***

وبدأت مطاردة لها العجب بين مسعد وعادل

كان مسعد يرى أن أسلحة الموت في أيدي الناس

أما حياته هو في يد ا .. ويد ا أقوى

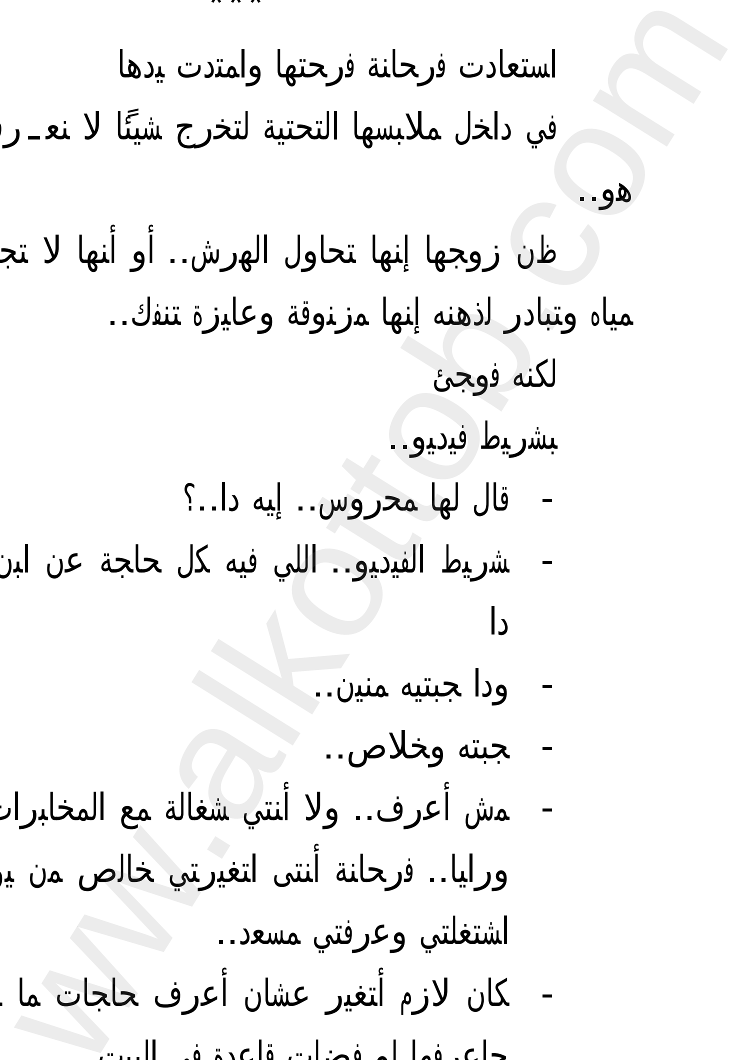
وفي المطاردة أدار مسعد دركسـيون عربتـه بشـدة وسحب الفرامل لأعلى. كادت هذه الحركة الخطـرة تـودي بحياته

- ونزل السائق متقدما لمسعد ولكن مسعد تصدى له في معركة غير متكافئة.. أثبت فيها لياقته وتفاديه الضربات.. وفجأة أمام العنف القاسي أخرج مسعد بخاخة مخدرة رشها في وجهه مما جعله لا يـرى وظل يتخبط حتى وقع على الأرض..

والمعركة على أشدها بين السائق ومسعد حاول عادل شديد الهروب بعربته ولكن قدمه التي يزك بها قد خانتـه.. جمع مسعد سعيد نفسه في تحد يحسد عليه/ متجهـا كسـهم لعادل واقتلعه من على كرسي القيادة/ ودارت معركة أشرس بينهما.. انتصر فيها مسعد بقوة..

وظل يدوس على قدمه وعادل يصرخ.. بل ووضـع رأسه تحت قدمه حتى خف له رجال الأمن وفرحانة وزوجها والأولاد يحتضنون مسعد.. بينما أخذوا عادل الشديد لتلقـي عقابه الأشد.

إن من يركع لا يسجد لإنسان..



***

استعادت فرحانة فرحتها وامتدت يدها

في داخل ملابسها التحتية لتخرج شيئًا لا نعرف ما هو..

ظن زوجها إنها تحاول الهرش.. أو أنها لا تجد دورة مياه وتبادر لذهنه إنها مزنوقة وعايزة تنفك..

لكنه فوجئ

بشريط فيديو..

- قال لها محروس.. إيه دا..؟
- شريط الفيديو.. اللي فيه كل حاجة عن ابن الكلب دا
- ودا جبتيه منين..
- جبته وخلاص..
- مش أعرف.. ولا أنتي شغالة مع المخابرات من ورايا.. فرحانة أنتى اتغيرتي خالص من يوم ما اشتغلتي وعرفتي مسعد..
- كان لازم أتغير عشان أعرف حاجات ما كنتش حاعرفها لو فضلت قاعدة في البيت..

- وعرفتي..
- أمال..
- عرفتي إيه..

جرت فرحانة منتشية وهي تهز بيدها المرفوعة لأعلى شريط الفيديو صارخة في الهوا مهللة:

آدي الشريط

آدي الشريط

تطلع لفوق تنزل لتحت

تروح هنا

تيجي من هنا

ما انتش يا كلاب زينا

***

آدي الشريط

آدي الشريط

يا ابن العبيط

***

واللعب ح يكون ع المكشوف

عشان نشوف

آهو الشريط

آهو الشريط

يا ابن العبيط

تطلع لفوق

تنزل لتحت

تروح هنا

تيجي من هنا

ما انتش يا مجرم مننا

***

آهو الشريط

يا ابن العبيط

إن شمس الدولة تغرب حين نغض الطرف عن القانون.

٢٢

وجاء الصباح وزفوا الخبر للناس.. وصـدر القـرار العسكري بإعدام عادل شديد/ تحرك حي المساكين في زينهم لمشاهدة هذا المخبول الذي أجرم في حق وطنه والأمن العام وكأنه سباق ماراثون اشتدت السرعة بين أهل البلدة وتحـول المشي إلى جري لاهث كبار وشباب وبنات وبنين بل وأطفال أيضا..

البنزين دائما في حاجة للاشتعال وأقـل نـار بجانبـه تحدث انفجارا...

هكذا صار الكل مشتعلاً وعلى وشك الانفجار.

- الزحف يشتد ووسط هذا الزحف لاح من على بعد عادل شديد وهو يزك في زيه الأحمر فـي ليلـة عرسه هذه متقدما والكل يبصق عليه حتى تحـول وجهه إلى مبصقة للذين نالهم هذا الشرف.

ووسط هذا الميدان الكبير نصبت المشنقة ولم يتـرحم عليه أحد بل اختفت الطقوس الخاصة بالمشـنوق.. وتقـدم عشماوي وألبسوه الطاقية، وفي ثوان كان جسمه القذر يتدلى

في حبل المشنقة يتراقص ملوثًا الجو على مرأى من الجميع ليصبح هذا الخائن عبرة لمن أعتبر..

- صفق الكل لهذه اللحظة التـي لا تنسـى وكـأنهم يشاهدون مسرحية استعراضية وزغردت النسـاء والبنات مـن شـدة الفـرح ورقصـت فرحانـة ومحروس وأولادها الـ ٨.

***

- وفي بلدة كفر الدوار كان مسعد قد وصل دق باب منزل دعاء قرب الفجر.. من الطارق فـي هـذه اللحظة..

لهذه الأسرة المكلومة التي لم يحدث لها إطلاقًـا هـذه الطرقة وفي هذه الساعة..

أيقظ الفـزع الأب والأم ودعـاء الحامـل وأمسـكوا ببعضهم وتوجه الثلاثة للباب فـي خـوف وقـالوا مـين؟ هامسين..

رد عليهم مسعد.. أنا مسعد..

- لم يصدقوا فتحوا له وسقطت دعاء مـن الفرحـة مغشيا عليها..

- تحسسوه جيدا (هو مسعد بشحمه ولحمه)، ولكنه كان كالمتوول تماما إذًا كيف يقولون أنه مات..
- حمل مسعد دعاء إلى أقرب كرسي وجرى والدها ووالدتها وأحضروا زجاجة كولونيا 555 وقطعة قطن وشمموها الريحة وفاقت بالتدريج.. وظلت تنظر لمسعد غير مصدقة: كيف الأموات يعودون؟ وأغمى عليها مرة أخرى وأعاد مسعد مرة أخرى إفاقتها حتى استردت وعيها تماما.. ثم فاجأهم بقوله..

لو سمحتم أنا حاخد دعاء معايا عشان أوريها سبب تأخيري عنها مين.. وصحا سفروت اللي كان رايح في سابع نومة.. ولم يصدق أن أخاه الميت عاد فصرخ في فزع وحضنه مسعد بينما سفروت ظل يرتعش في حضنه وكأن كهرباء صعقته.. طبطب عليه وقال له: إلبس بس بسرعة.. دخل سفروت بسرعة حجرته ولبس بدون وعي ولبست دعاء وأخذت شنطة يدها وودع مسعد أباها وأمها ووعدهما بالعودة ثاني يوم وخرج الثلاثة.

- وفي عربة بيجو كانت تقف أمام المنـزل ركبـوا وانطلقت العربة بهم متجهين للقاهرة لكي تشـاهد دعاء بنفسها عادل شديد الذي تسبب في عرقلتـه عنها/ وطوال الرحلة حكى لها ما حدث/ وحكـى سفروت له ما فعله بعادل..

***

٢٣

من على بعد شاهدت فرحانة مسعد وفي يـده دعـاء وسفروت بعد أن شاهدوا عـادل شـديد وبصـقوا عليـه.. فخرجت في لهفة في وسط الجموع وهي تشد وتسـحب يـد دعاء الماسكة في يد سفروت الماسكة في يد مسعد المحـوط على أولادها وماسكًا فيهم محروس الذي يحمي المؤخرة لهم وهم يخرجون للعراء عرقانين يتنفسون في صعوبة.. لمحت دعاء استراحة على بعد أمتار.. سـحبوا أقـدامهم المنهكـة وارتموا جالسين.. وفجأة وبعد دقيقة من جلوسـهم انفجـرت فرحانة في حالة أشبه بالأنهيار العصبي وهي توجه كلامهـا لهم وبصوت أقرب بذبذبات الكهرباء: هي مصر دي مـش بلادي؟... مش وطني؟ قولولي أحبه أزاي وأنا ميتة بالحيا؟.. قدام الفقر والجوع والموت دا مين اللـي يحمينـي.. مـش بلادي؟!.. يعني لو جه عدو ضد بلادي ومدلي إيـده وحمـاني وأكلني ولبسني وشغلني وسترني وبقيت تبـع بلـده/ أبقـى غلطانة؟.. ردوا علي؟! حد يرد علي.. وظلت تصرخ..

كان مسعد يراقبها بشدة فقام منتفضا من مكانه وعلـى صوته على صوتها كي يسكتها.. قائلاً..

- وطنك يا فرحانة يفضل وطنـك مهمـا اتغربتـي واشتغلتي عند العدو أو الغريـب.. أنتـي وأنتـي بتشتغلي عنده بتأدي وظيفة/ عمل يعني/ والعمل دا له مقابل/ ثمن يعني/ حاجة قصاد حاجـة/ لكـن وطنك يفضل في دمك/ وطنك هو أصلك وكرامتك وعزتك وجزورك.. وأوعي حـد يـأثر عليكـي ويفهمك بلادك غلط مهما كانت الإغراءات.. وبكرة تفرج وربنا مع الصابرين..
- تعبنا.. تعبنا..
- كدا تكفري.. يمهل ولا يهمل، والمـؤمن مصـاب هانت يا فرحانة هانت..
- ونعم با طب أنا باسعى ومحروس جوزي بيسعى وولادي قربوا يموتوا م الجوع ومؤمنة با .. أمال فين اللي بياعدونا عشان ياخدوا بإيدينا..
- البيروقراطية هي السبب..
- نعم.. قلت إيه؟

- شوفي يا فرحانة.. لو سـمحتي أهـدي خـالص واسمعيني.. لو سمحتي..
- هديت..
- البيروقراطية هي السبب في الموت اللـي أنتـوا عايشينه دا... فيه مسئولين أكيد عن حـي زيـنهم دا.. بس فين؟.. كل واحد منهم بيرمي المسـئولية على غيره، وغيره يرمي على غيـره – وتتـوه الحقيقة ويضيع حي بحاله!!

وفيه حاجة كمان بس مش عنـدنا اسـمها (الوكالـة Delgation) الوكالة دي مهمتها توزيـع المهـام/ الشـغل يعني/ على كل واحد من دول من خلال اللي بيسموها النظرة العلمية..

- ليه الحكومة تبقى مسئولة عننا ما دام مش عارفـة تعيشنا وتدينا حقوقنا..؟
- أصل فيه عقد بينا وبين الحكومـة بـين الحـاكم والمحكومين...
- والعقد دا اسم العقد الاجتماعي وهو أصل الدولة.. باختصار كدا هو تنازل الأفراد عـن جـزء مـن

حقوقهم الطبيعية مقابل التمتع بمميزات المجتمـع السياسي – يعني الفرد اتفق بمحض إرادتـه مـع الآخرين على التنازل عن إرادته الشخصـية فـي سبيل الحصول على المنافع التي تنجم عن التعاون الاجتماعي مع الآخرين.. ولن يحصل الفرد علـى حماية المجتمع إلا بتنازله عن حقوق الطبيعية..

- مش فاهمة حاجة م اللي قلته..
- لما يبقى عندنا وجهة نظر إنسانية ونظرة علميـة في مواجهة أي مشكلة يعني دراسة لحـي زيـنهم أساسها الدقة دون تعال أو استخفاف بالبشـر فـي الإصلاح ساعتها كل مشاكلنا حتتحل + زكاة المال عليها دور كبير فـي الإسـعاف السـريع وفـي الإصلاح.. ساعة التنفيذ لا بد من الحب لأنـه لا يعادله قوة وهذا هو الدعم النفسي.. القوي يسـاعد الضعيف ويسانده.. ولـيس معنـى ذلـك أن ا سبحانه وتعالى قد ترك كونه يظلم فيه من يظلم.. فلا يجد من يردعه.. ولكن ا قائم على كونـه.. ومن هنا فهو يرسل على الظالم من هو أظلم منـه

ليذيقه من نفس الكأس.. ويذيقه قسوة الظلم.. الذي أذاقة للناس.. وربما أقسى من ذلك..

***

وليس شرطًا أن الذي وقع عليه الظلم.. هو الذي يقوم بالثأر ولكن هناك من هو أقدر منه وأقسى منه قلبـا.. هو الذي يسخره ا للانتقام له..

***

توجه الزحف الجماهيري إلى ميـدان السـيدة زينـب ومعهم مسعد سعيد وهو ينشد وانفجر صوت فرحانة معـه.. وعلا صوت دعاء وسفروت معه مرددين في حماس مدو..

ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا

وعشان تكون

إنسان جديد

إنسان سعيد

لازم تقف ضد الحديد

***

أصل الزمن

زمن عنيد

لازم يكون قلبك شديد



تقف كدا

وتقول كدا

تقف تقف ضد العدا

***

ظهرك كدا

مسنود كدا

على دا ودا

تبقى شديد

***

وعشان تكون إنسان جديد

إنسان سعيد

لازم تقف ضد الشديد

***

تملك كرامتك

تملك إردتك

وتوقف الحياة كدا من جديد

***

أوعى تقع

أو تستكين

عشان تكون إنسان متين

***

مين اللي قال

إن حياتنا دي تبقى حياة

***

مين اللي قال

مين اللي قالك تقلعه

حط عقلك وازرعه مطرح م كان

***

عقلك في راسك

تعرف خلاصك

فكر وعلى

صوتك على

ولا يمكن الإنسان يكون إنسان كدا

***

وظلت الأغنية تُدوي في الأثير والزحف الجماهيري المكسور الخاطر والمحروم من حقه الإنساني في الحياة يزحف ويزحف.. وظلوا يسيرون حتى انحرف بهم الزحف إلى شوارع المدينة/... ولأول مرة يرى هؤلاء المساكين منذ سنين شكل المدينة بناسها وعرباتها وأشجارها وكأنهم يحلمون وعيونهم مفتوحة في دهشة لا توصف.. اليوم عيد.. عيد المساكين.. قد بدأ..

ها هم يسيرون في شوارع المدينة ينظرون في كل اتجاه.. وبينما كانوا ينظرون لأعلى كانت جماهير المدينة تتأملهم من البلكونات والشبابيك.. منهم من كان يصورهم بكاميرات الفيديو ومنهم من وضعوا نظاراتهم المعظمة على أعينهم ليقربوا الصورة/ ومنهم من قوى بصره على المشاهدة – وبدأت العيون من أعلى ومن كل الجوانب تتفرس وتتأمل هذه الكائنات العشوائية التي تسللت داخل شوارع المدينة فماذا شاهدوا؟

مساكين بالآلاف في أسمال بالية لونهم متفحم/ مجنزرين.. والليل الحالك السواد قد انطبع على أجسادهم فصاروا نسخة بشرية واحدة..

العربات توقفت لتشاهد هذا الركب الزاحف وسط شوارع المدينة.. إنهم المساكين يسيرون في كتل في أدب.. في خشوع..

الذين في داخل عرباتهم يتساءلون.. من هؤلاء.. أهم بشر مثلنا؟.. ربما!! ولكن لماذا يكونون على هذه الصورة!!.. ولماذا الفحم يغطيهم؟.. وما الذي أوصلهم لذلك؟!! ربما لأنهم ليس معهم نقود!!

- بينما مسعد قفز فجأة فوق مجموعة من المساكين عندما وجد أهل المدينة وقد التفوا حولهم.. صاح بأعلى صوته.

نحن ضد العمل السري/ واستخدام القوة بأنواعها / والعنف والإرهاب والتخريب..

وعلينا أن نعبر عن رأينا.. نحن ننبذ العنف.. ونقر الحوار الديمقراطي أسلوبا وحيدا في طرح الأفكار والآراء.. نريد مجتمع الفضيلة والقيم النبيلة وصولاً لمجتمع إنساني بلا حروب ولا استغلال.. لأننا نحب السلام.. وكفانا حرمانًا من حقوقنا.. وهي أبسط حقوقنا الإنسانية كمؤمنين إن في بلدنا شبعانون كثيرون يأخذون بدون وجه حق وبسوء نية ما لا

يستحقون ضاربين بالقيم وبالإنسـانية عـرض الحـائط ولا يخافون أحدا، سـواء كـان بلطجيـة أو أولاد سـفاح.. أو متاجرين بالأديان.. أو مسئولين كبار في الدولـة.. ولـيس لشبعهم حدود.. أين قانون الرحمة؟.. أين الرفق بالإنسان؟ لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه.. وثوب يواري عورته.. وبيت يسكنه.. صدق رسول ا ..

وصفق راكبو السيارات له/ وقد خرجوا من سياراتهم متعاطفين معه واشتد تعاطفهم على المساكين الوافيدن هؤلاء. وأمطرت السماء علـيهم مـن البلكونـات النقـود الفضـية والنحاسية والورقية.. كُل وما يجود بـه.. وبـدأ المسـاكين يركعون لأخذ ما جادت به السماء لهم وهم ينظرون لأعلـى سبحانه وتعالى..

بينما اشتد حماس مسعد وهو يصـيح بصـوت عـالٍ مواصلاً وهو يرتعش ملتهبا والدماء تبك من وجهه باكيا في تأثر..

إن أقوى أسباب الظلم هوان يتحكم فـي المجتمعـات الإنسانية أشخاص لا يردعهم قانون، ولا يستطيع أن يسـألهم أحد عما يفعلون، وتؤدي بهم السلطة المطلقة إلى فساد مطلق

لا يقيمون وزنًا لدماء الناس أو أعراضهم أو أموالهم أو حقهم في أن يعيشوا آمنين مطمئنين.. إن الفضيلة.. هي فن إسعاد الذات بالعمل على إسعاد الآخرين..

وإن خير الناس من كف فكه وفك كفه/.. وشر النـاس من فك فكه/ وكف كفه وقال ا في حديث قدسي.

"وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم فـي عاجلـه أو آجله.. ولأنتقمن ممن قدر على إغاثة الملهوف ولم يفعل.."

- تأثر المشاهدون وكأنهم يشاهدون حدثًا مسرحيا لا يعرفون متى سيسدل عليـه السـتار.. وتقـدموا للمشاركة الإيجابية في هذا الحدث الإنساني المثير للدموع والشفقة والخوف.. وصاح أحدهم.. مـين عارف مش يمكن ييجي علي يوم وأبقى كدا؟..

أبقى مكان دول..

- أستاذ لو سمحت يا أستاذ..
- رد مسعد: نعم..
- أتشرف بالاسم..
- مسعد سعيد..

- أستاذ مسعد دا تليفوني/ ودا شيك للغلابة دول/ ودا كارت بعنواني وتحت أمرهم في أي طلب..
- تأثر مسعد سعيد لهذه المشاركة الإيجابية وانتشرت العدوى بين آخرين فتقدموا له بالنقود والكروت.. وهو سعيد بهذا الدعم النفسي لهؤلاء..
- إن هذه الفئات المسكينة الفقيرة المعدمـة حركـت المشاعر هذه.. والصورة لا تحتاج لتعليق.. لقـد أوجدت هذه الفئات المسكينة قيما عند الناس ونمت عند أثرياء القوم أن يتطلعوا للمشاركة الإيجابيـة في النهوض بالبيئة ورد بعض الجميـل لهـؤلاء الذين سلبت حياتهم منهم..

زمجر مسعد سعيد زمجرة عالية مدوية أحدثت صدى في الجو حيث قال:

لقد أفرز الفقر هذا المخبول الذي أعدم فـي الصـباح وروع الجميع بأفعاله، وإن الاستخفاف بآدميـة الإنسـان أو الاستعلاء عليه دون وجه حق سوق يفرز مخابيـل كثيـرين يسيطرون على العالم ويوقفون تقدمه..

لذلك كان لا بد أن نوقف هذا النبت الشيطاني ساعة نموه. لا أن نترك له الحبل على الغارب ثم نرثي الأطلال بعد ذلك.. ما هي متعة الشبعان الذي لا يعرف حدود شبعه وهو يرى آلاف المساكين أمامة يتضورون جوعا ويلبسون جلودهم في العراء في البرد والشتاء؟..

إن هؤلاء المساكين الذين أمامكم يقولون لكم وقد عاهدوا ا بصدق ما يقولوا..

إننا ضد العنف – ضد الجريمة.. ضد الإرهاب.. وننشد الفضيلة فمدوا لنا يد العون..

اللهم هبنى قلبا نقيا..

وأن تدع البصيرة تقودني لا البصر..

وأن أكون أداة الخالق في نشر السلام..

- سار الركب عائدا من حيث أتى بعد أن التف حوله ذوي القلوب الرحيمة والأثرياء..
- بينما ظلت دعاء وسفروت يدققان النظر في مسعد وهو مستغرق في شروده.. كان مسعد يسير كالمنوم كخط مستقيم.. متكعبلاً في تساؤلاته

وتأملاته.. وحوار يدور في عقلـه وكأنـه يـتكلم بصوت عال للدنيا بأسرها..

- على العالم أن يتكاتف ليخلص البشرية مـن كـل مخابيل الدنيا الـذين ينمـون فـي العشـوائيات/ بعلاجهم ومد يد الرحمة لهم.. حتى لا يجدوا يـدا سرية تمتد لهم/ لتأخذهم وتشكلهم كما تريد حسب أهوائهم الشخصية وتحـولهم لقسـاة لا يعرفـون الرحمة../ لا بد من ترميم نفوسهم/ قبـل تـرميم مكانهم.. وليس شرطًا أن يكـون المخبـول ابـن سفاح.. فالمخابيل في الدنيا كثيرون.. فالخبل لـه أكثر من وجه.. في شخصيات تعيش بيننا..

إن القضية يا حبيبتي ليست في نوعيـة الشخصـية.. ولكن في السكوت على أفعالها وعدم معالجتها جذريا..

***

سار مسعد حاملاً أفكاره وتأملاته ومعه رفيقة عمـره الصابرة وهو يحتضنها.. وكانت تنظر إليه في ارتواء وظمأ – بينما هو ينظر إليها في حب واحتواء.. تبادلا نظرات تأمل طويلة وسرح في عينيها يناغيها كالمتوول.

اعلمي جيدا يا حبيبتي أنني أذوب فيك.. وإذا كنت قـد غبت عنك طويلاً.. فلأنني كنت أتخطـى الحـواجز التـي وضعت في طريقي..

واليوم بعد عودتي من هذه الرحلة الصعبة في الحيـاة وفي داخل النفس البشرية، أستطيع أن أؤكد لك أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة.. ومهما عظمـت فهـي حقيـرة.. وأن الإنسان مهما عاش فلا بد من الرحيل.. وأن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر.. وأن العمر مهما طال فلابـد مـن دخول القبر.. وإن كل نعيم على الدنيا زائل لا محالة.. كـل شيء سيفنى ويموت..

***

إن السعادة الحقيقية يا حبيبتي هي في طاعة ا .

ولقد أجتنبت الكبائر.. الشرك با .. وعقوق الوالدين.. وقول الزور.. ولقد نظفت قلبي من الكبرياء والحسد والحقـد والنفاق.. والتعلق بمفاتن الدنيا.. وطهرت لساني من الكـذب والنميمة والسخرية من الآخـرين.. ولقـد تعلمـت الصـبر والرحمة والتواضع والإخلاص والوفاء والتسامح والتفـاني من العمل ومراقبة ا .. ولقد أدركت أن الدنيا – ممر وابتلاء

ليميز ا   الخبيث من الطيب.. وأن حب المـال هـو أصـل الشرور.. وأن القناعة كنز لا يفنى..

***

ولقد أحببتك لأن لباسك التقوى.. وزينتـك الحيـاء.. وعطرك الوضوء.. وحليك الوقار والعفاف..

أنت درة مصونة.. ولؤلؤة مكنونة.. وجـوهرة ثمينـة محفوظة..

لقد توصلت إلى أن الحسنة ضياء في الوجه ونور في القلب..

وأن السيئة سواد في الوجه.. وظلمـة فـي القلـب.. وبغض في قلوب الخلق..

***

هذه هي آخر كلمات كنت أحب ألا أكتمها في داخلـي لأنها تغلي وتفور... ولقد أخرجتها لمن أسكن إليها وتسـكن إلي..

والآن أنا هادئ النفس مرتاح الضمير..

***

وارتمت دعاء في أحضانه والدموع تسيل من عينيها..

وعلى أقرب أريكه أمام النيل..

جلسا في ارتخاء وقد تكوما على بعضهما..

***

- وفجأة وهو يحتويها قال لها.. بقيت لي كلمة أخيرة الآن تذكرتها يا حبيبتي فاعذريني..
- حبيبي: كلي آذان صاغية فهات ما عندك يا عظيم الحس والإحساس..
- إن ٢٠% من أغنياء زمن العولمة يحصلون على أكثر من ٨٠% من ثروة الدنيا..

ولماذ تحتل بلادي رقم ٥١ في قائمة أفقر دول العالم

كيف وهي تمتلك وفرة في الموارد وعناصر الثروة

لا بد أن هناك خللاً في السياسات وخطط التنمية

ولماذا توجد ١٣٣ دولة على مستوى العالم في قائمـة الفقراء في حين يحيا ثلث دول العالم..

قالت له دعاء: حبيبي ريح دماغك شوية/ أنـت ليـه شاغل مخك على طول باللي بيحصل في الدنيا/ فكـر فـي أحسن.. عارف يا مسعد لما تفكر في/ حتحس بالسعادة..

- فاكر يا مسعد اللي كتبته في حـافكرك القصـيدة آهي..

اسمع يا سيدي

وكانت تحتفظ في جيب فستانها القصيدة التـي كتبهـا فيها..

- وحلاف الدنيا بيكي

والشهد أجيبه ليكي

حتحس الدنيا بي.. قريب

وساعتها حجيبها ليكي

وفي قلبي حسكنك

وبدمي أمونك

وفيه قصيدة ثانية كاتبهالك.. آهه.. اقري..

- أمسكت دعاء القصيدة ظنت أنها عنها.. صـمتت برهة وهي تقرأ بعينيها.. لكن مسعد هزها لكـي تقرأ ما كتبه..

- وبدأت دعـاء تقـرأ.. أعطـوا الفقيـر قـرش.. ولتحضروا به رغيف.. ولتدخلوه فيه.. ولتـدفئوه فيه.. ولتسكنوه فيه.. لا تأخذوه منه.. لا تحرمـوه

منه.. ولا تحسـدوه.. لا تنكـروه.. لا تحجـزوه عنه.. لا تأكلوه منه.. فعالمـه رغيـف.. وغايـة الفقير دفء قبر.. يدفنوه فيه.. وقبـره رغيـف.. مطرز من صوف.. بإبرة علميـة دقيقـة وفتلـة رقيقة.. تعيش عمر العصـر لا تـدوب.. يكـون للرغيف طعم.. رقيقة.. تعيش عمـر العصـر لا تدوب.. يكون للرغيف طعم.. وهكذا يمهد الطريق لخطوة جديدة ليلحف الغموس..

- علقت دعاء.. يا سلام.. يا سلام.. وإيـه كمـان؟ شوقتني أتكلم معاك في اللي شاغلاك/ وإيه كمان؟..
- قال مسعد في شرود.. الفقر في هذا القرن لم يعـد مقبولاً لإن إنجازات التكنولوجيا سـتحقق الـوفرة للجميع. لأنهم سيعتبرون الإنسان لا رأس المـال هو الأساس..
- يا ريت يا مسعد.. يا ريت قريب دا حيحصل؟.
- كله بفضل ربنا – بس القرن الـ ٢١ للأسف فيـه نظريتين الصراع بينهم كبير.. العولمة والعالمية..
- مش فاهمة وإيه العولمة وإيه العالمية؟

- العولمة يعني العالم يبقى في قالب واحد يعني لـه ثقافة واحدة ويهدد كافة الثقافات العالمية الآخرى.. إنما العالمية هي تبـادل الثقافـات والحضـارات والاعتراف بالآخرين..
- ربنا قال: ﴿إنا خَلَقْنَـاكُم مـن ذَكَـرٍ وأُنْثَـى وجعلْنَاكُم شُعوبا وقَبائِلَ لِتَعـارفُوا﴾ .. يبقـى العالمية أحسن من العولمة..
- أعتقد يا دعاء إن الأحسن في العولمة.. والأحسن في العالمية يبقى هو الأنفع لينا.. ونبعد عن اللـي يتعبنا سواء في العولمة أو في العالمية..

المهم ما نهـدش البيـت علينـا.. ونتمنـي التنميـة الاقتصادية للجميع/ كم أتمنى أن يتوصل العلمـاء لجينـات خالية من الفقر..

- وفوجئت وهو يتحدث بدموع تساب مـن عينيـه فسألته في دهشة: بتعيط ليه يا حبيبي؟
- فقال لها والدموع تتلألأ في عينيه إنـى أحـس أن عصر سعادة الإنسان والأخذ بيده سيتحقق وهـذه هي دموع الفرح..

٢٤

مرت السنون.. وبعد سنوات ليست ببعيـدة.. أنجـب مسعد سعيد أحمد وهو في السادسة مـن عمـره ومولدتـه الجديدة عليات وعمرها عام.. وقد لاحظوا عليها أنها تضحك باستمرار.. خير اللهم اجعله خير..

فعليات هذه يغلب عليها الضحك أكثر من البكاء..

شكرت دعاء ربها بأن مولدتها هذه ضحوكة..

وبينما دعاء ومسعد يهشكان ابنتهما الغالية عليـات.. دق جرس التليفون عندهم في كفر الدوار..

خير اللهم أجعله خير.. فالساعة الآن الخامسة قـرب الفجر..

من يكون الهاتف..

ولم يردا على التليفون الذي يرن.. وأمام إلحاح رنـين الهاتف مرات ومرات.. كان لا بد من رفع السماعة لنسـمع ما الخبر..

قال مسعد.. آلو.. أيوه مين معايا..

كان رد الهاتف: أنا فرحانة.. فرحانة.. إزيك يا أستاذ مسعد.. وأزي دعاء مراتك..

لم يصدق مسعد أنها فرحانة.. فلقد مر ٧ سنوات دون أن يسمه صوتها.. أو يجمعهما مكالمة واحدة.

وكل واحد راح لحاله بعد ما عزلت من شقته التي كان قد أعطاها مؤقتًا لها حتى ينقذها من عادل شديد فما الجديد الآن..؟

- قال مسعد.. خير يا فرحانة أنتي لسه فاكرة تليفوني..
- معقولة أنساه يا سيد الكل.. إحنا دلوقتي في زينهم الجديدة.. وبكلمك من شقتي الجديدة يا أستاذ.. الحمد رجعنا بس في شقة عجب وملكنا لازم تيجوا تشوفوها.. لازم وبعد بكرة.. اتفضل اكتب عنوان الشقة.. اكتب يا وش السعد اكتب.. أمال فين دعاء..
- دعاء بترضع عليات..
- عليات مين؟..
- بنتنا..

- يوه نسيت أقوالك.. خلفتوا؟..
- خلفنا أحمد وعليات..
- أحمد عنده كام سنة.. وعليات كام..
- أحمد ست سنين.. وعليات سنة..

وازي محروس وولادك.. أحسن دلوقتي؟

- الحمد   أحسن.. دانا عايشة في الجنـة.. زيـنهم اللي أنت شفتها زمـان.. وكـان فيهـا عشـش وصفيح.. وزفت وزبالـه.. وأوكـار وأكشـاك.. وعشوائيات.. وناس ميتة بالحيا.. تعالى بعد بكرة وشوف.. جوزي محـروس مسـتنيك ضـروري ضروري..
- واشمعنى بعد بكرة..؟
- عبل ما توضب نفسك..

لازم تيجي عشان عندي جوزين بط.. وشوية حمـام.. حادبحهم النهاردة.. عشـان حنجهزهـولكم لبعـد بكـرة.. محروس الحمد   دلوقتي بقى كسيب.. وأنا وولادي.. فـي مشاغل للتطريز.. بنشتغل.. وبقى معانا قرش.. في زيـنهم الجديدة كل شيء جميل..

إن هذه المساكن الجديدة التي أقيمت بديلة عن الإيواء.. ليست مساكن شعبية.. ولا مساكن اقتصادية.. بل تكاد تكون قرية سياحية في أول مشروع حضـاري شـامل.. ينتشـل ٣٥٠٠ أسرة من مستنقع الإيواء.. وعودة آدميتهم لهم بعد أن كانوا.. مسحوق إنسان..

فإن أرضية الشقة في حي زينهم من الرخام والحمـام والمطبخ من السيراميك.. وإذا كان لك سابق عهد بها.. يوم كانت إيواءات.. وأوكار منذ ثلاثين عاما تستيطع أن تـدرك هذه النقلة الحضارية والإنسانية..

تتباعد العمارات عن بعضها ولا تتلاصـق بالشـكل المعروف في المساكن الشعبية والمساحات الخضراء تلعـب دورا كبيرا في تخطيط المعمار حتى تصفو عيونهم ويجـدوا مكانًا يتنزهون فيه يسبب لهم البهجة..

وما زالت فرحانة تعبر عن فرحها عبر الهاتف لتنهي مكالمتها مع مسعد سعيد قائلة..

- شقتي حلوة قوي يا أستاذ مسعد وفيها عفش حلـو قوي.. والأرضيـة بالرخام.. تصور.. وعنـدي مطبخ.. وعندي تليفزيون ملون.. وسجاجيد.. كل

حاجة كنت بشوفها في الشقق اللي في مسلسـلات التليفزيون.. بقت عندي يا أستاذ مسعد.

- طب كفاية بقى دموع وزغردي أحسن.. وإن شاء ا جايلكم حسب الميعاد مع السلامة..

زغردت فرحانة زغرودة مدويـة.. اسـتيقظ عليهـا أولادها.. ومحروس زوجها..

- قال لها محروس المفزوع.. مالك يا فرحانة..؟

- الأستاذ مسعد جاي بعد بكرة يزورنا.. هو ودعاء وأولاده.. لسه قافل التليفون معايا..

لم يصدق محروس.. فبكي هو أيضا من شدة الفرحة..

وجلس أولاده يمسحون له دموع الفرح..

بينما كان آذان الفجر يؤذن للصلاة..

***

بالحب تبني بيتًا..

***

وفي الصباح الباكر وبعد غد سـافر مسـعد ودعـاء وعليات وأحمد لفرحانة في حي زينهم الجديد..

كان الاستقبال يفوق كل وصف.. ذهـول مـا بعـده ذهول.. وتوقفت لغة الكلام..

***

وإن سبب تعاسة الإنسان أنه يريد أن يأخذ أكثر ممـا يستطيع أن يعطي.. وإن أقوى الناس أضعفهم لقدرتهم علـى تحمل الصعاب. الشيء الذي لا يقدر عليه كل البشر.

وإن أضعف الناس أقواهم أيضا لقدرتهم على الصـبر وانتظار الأمل فيها أيها العطاءون في كل بقاع الدنيا تقـدموا الصفوف وانتشروا في كل مكان.. تحدوكم العقيدة.. لتعلموا من ماتت أحاسيسهم الدرس المستفاد.. واستبدلوا بكل ما هو عشوائي.. كل ما هو إنساني.. ليعود لبني الأنسـان عـزتهم وكرامتهم التي منحها الخالق لهم.. وحتى لا تزداد البشـرية وهي تتقدم للأمام سقوطًا إلى الخلف..

وليكن هاديكم أن قوة الحب

أقوى من حب القوة

ما أحوج الدنيا وما أحوج البشرية التي اختل توازنهـا إلى أمثال هؤلاء العطاءون الذين استغنوا.. فأغناهم ا ..

(تمت بحمد ا)

***